(كونِين ـ لَطائِف وطرائِف)

ـ شوقي مسلماني

\\

"إحسانها بْسكّانها

وعنْوانها عَنّا ينوبْ

كونينْ ضمْن كْيانها

فازتْ عَلى كلِّ الجنوب".

\\

ـ مقدّمة:

كانت لي صورة منشورة على صفحة التواصل الإجتماعي "فايسبوك" مصطاداً سمكة كبيرة من بحر سيدني، وحين رآها، وهو في لبنان، صديقي إبراهيم فوعاني "أبو خليل" الملقّب بالشاويش، أرسل إليّ تعليقاً أبهجني وجعلني أبصرُ احتمالاً وهو تسجيل بعض "ملامح" حياة أبناء "كونين"، بلدتي الجنوبيّة اللبنانيّة ـ قضاء بنت جبيل ـ القرن العشرين، فلا تضيع بوفاة "الحفظة". وأمّا الذي يجعل هذا الإحتمال ممكناً فهو عموماً معرفتي الشخصيّة بالشاويش ذي القلب الطيّب. أرسلتُ إليه أمتدحُ رسالته إليّ وحمّلته، بمبالغة كرتونيّة، مسؤوليّة تاريخيّة لإنجاز "كتاب" يلقي ضوءاً على جانب من حياة الكونينيين ويسجّل بعضاً من سلوكهم المنفتح وتقاليدهم العامليّة العريقة ونفوسهم السمحة، الكبيرة، وممّا جرى على ألسنتهم بعفويّة نثراً أو نظماً، وخصوصاً في العاصمة بيروت التي انتقل الكثير منهم إليها بدافع السعي الشجاع والشريف من أجل حياة

كريمة، وعملوا فيها، غالباً، ببيع السمك، واجتهدوا حتى صار منهم كبار تجّار السمك، وشكّلوا نقابة لبائعي الأسماك، وهذا عمل جبّار، وقد رئس المرحوم محمّد عبدالله عناني نقابة بائعي السمك اللبنانيّة حتى وفاته، وقلتُ للشاويش إنّنا نحتاج إلى 60 أو 70 "قصّة" على الأقلّ، وذكّرتُه بذاكرته الجميلة، وأرسلَ إليّ واحدة، وتأكّدتُ أنّ طريقي سليم. يروي الشاويش "قصّة" أو "خبريّة" من واقع الحياة الكونينيّة بأسلوبه الطريف ومفرداته النادرة وخياله الخصب، وأنا ألقي عليها نظرة متفحّصة. وتوالت "القصص"، ولكن مرّات يفصل بين الواحدة والتالية أسابيع، وكنت أصبر، حتى قلت له مرّة، وبمبالغة كرتونيّة أيضاً، إنّ التاريخ لن يرحمه إذا تراجع عن "المشروع"!. وكذلك اتّسعتْ مع الوقت حلقةُ إتصالاتي ومصادري. وهنا البداية، وأخيراً الخاتمة، التي ليست، طبعاً، هي الختام!.

١١

(شروال أحمد رشيد)

صباحكَ كلّه خير يا صديقي شوقي، ظهرتْ صورتُك على "فايسبوك" مصطاداً سمكة كبيرة، يجب أن تدعونا إلى الوليمة، مارستُ ذاتي هواية صيد السمك في الكويت، ومنذ ثلاث سنوات بدأ السمك يقلّ على نحو لافت، ذلك لأنّ بحر الكويت "انضرب" جرّاء سموم البواخر، وفي آخر مرّة علق بالصنّارة شيء ثقيل، انتصبتْ آذانُ الزملاء الصيّادين، مثلما يرفع جحش ذيب مندو أذنيه الطويلتين، والنتيجة: "عِلِقْ بالصنّاره بنطلون باكستاني، متل شروال الحاج أحمد رشيد، ضخم".

(يا حاجّة)

كانت قطعة أرض للمرحوم عصام حمّود "أبو علي" مزروعة تبغاً بجوار قطعة أرض يملكها حسن علي "أبو ابراهيم" مزروعة فقّوساً وخياراً وينام فيها خشية الشباب ـ اللّصوص، ويوماً جاء عصام حمّود، معه زوجته، قبل بزوغ الفجر، إلى أرضه، ليقطفا "الدخّان" باكراً جدّاً على ما يليق بالدخّان أن يُقطف نديّاً، وهما في عملهما منحنيين إلى شتلات التبغ تسلّل حسن علي من خلف وأدخل يده من ثقب شروال عصام حمّود، وهو بالمناسبة، مثل شروال الحاج "أحمد رشيد"، ضخم، ولعب له بخصيتيه، وظنّاً من عصام حمّود أنّها زوجه قال لها: "بلا مَزِحْ يا حَجِّه"!.

(كلبة حسن طعّان)

أراد المرحوم حسن علي "أبو ابراهيم" أن يهيئ "مشاتل" لزراعة التبغ، وكان يُسهسل ـ يسهّل ـ الحاكورة ـ قطعة أرض مجاورة للبيت ـ جيّداً، بواسطة مشط حديد، وفي اليوم التالي يجد المشاتلَ "مدعوسة". وحيث تكرّر الأمر غضبَ ـ رحمه الله ـ وصمّم أنّ يعرف من هو المعتدي الآثم؟، وأخيراً عرفه. ولعلعَ ـ ارتفع زاعقاً ـ صوتُه، فسمعَه جارُه المرحوم سليمان جنيدي فقال: "شو باك يا بُو بْراهيم طالعْ صوتك، إنت ومين علقان"؟، فقال: "كلبة حسن طعّان، كلّ يوم بْتجي وبتجبلي معها شلعة ـ مجموعة ـ كلاب، ما بتحلالها السايبه إلاّ بالمشاتل"!.

(المهندس)

كان الحاج حسن علي "أبو إبراهيم" يُلقّب بالمهندس لعظيم دِقّته، أو لحِرصه الشديد في كلّ ما يعمل. كانت له أرض في ناحية "كرم علي محسن" هي الوحيدة في كونين ليس فيها حجر، أو حتى بحصة صغيرة، "قَلبها فوقاني تحتاني، ونخّلها بالحالول"، والحالول هو من شاكلة المنخل والغربال، إنّما له ثقوب أوسع. ويُقال إنّ الحاج فكّر بإقتناء بضع دجاجات، وعمل حسابات، واكتشف إنّه سيكسب بيضة واحدة في السنة، وما كان منه إلاّ أن صرف النظر. وأيضاً كان متشدّداً مرّات في ردّ فعله، ومثلاً، والعهدة على القائل، وربّما المازح، أنّ شقيق زوجته "أبو ذيب" مرّ قريباً من أرضه المزروع فيها "مقثى" ـ قثاء (من الفصيلة القرعية، قريب من الخيار) واستحلى "مقثاية" فاجتاز وقطف واحدة، وعلم الحاج بما كان واقتلع من أرضه كلّ "جبّ" أو نبتة قثاء، ووضع ما اقتلعه في كيس "جنفيص" ـ "خيش" ـ خيوطه غلاظ ـ كبير وأفرغه أمام باب بيت ابن عمّه وقال: "جبتلّكْ كلّ جبّ مقثى، ولا تروح ولا تِجي". ومرّة قيل بمبالغة أكيدة أنّه طارد عصفوراً إلى قرية عيناثا المجاورة لقرية كونين لأنّه نقر له تفّاحة على شجرة تفّاح له. وهناك رواية عنه فيها عبرة وهي أنّه عندما كان في أيّامه الأخيرة، رحمه الله وطيّب ثراه، وكان عازف منجيرة، بالمناسبة، ماهراً، رأى، وهو ضعيف الصحّة، من نافذة بيته، في أرضه، أولاداً يقطفون من الحمّص الأخضر، لم يأمر بإبعادهم وفقط اكتفى بإدامة النظر.

(شخير "ورِّ" البقر)

قال عبد طعمة "أبو عبّاس" إنّه أيامَ الشباب اتّفق مع "بنت" أن يلتقيا في حاكورة ـ قطعة أرض ـ هي للشيخ عبد، وكانت مزروعة قمحاً أستراليّاً طويلاً، بحيث يختفي بداخله الجمل، كما يُقال تعبيراً عن يسر الحال، ومقابل أن "يستمسك" بها وعدها بعلبة "راحة" ـ حلويات ـ وذلك بعد أن

يؤذّن الشيخ علي آذان المغرب. وتحمّم عبد طعمة وحلق لحيته وذهب الى الحاكورة وجلس وطال إنتظاره، "وْصارْ يغفلْ وِيفِيقْ"، وتكرّر ذلك، وأصبحت الدنيا ظلاماً شديداً، وفي هذه الأثناء خرجت زوجةُ أحد الجيران من آل رشيد وجاءت إلى الحاكورة كي تبول، على عادة أهلنا قبل اكتشاف المراحيض، وأنتَ تعلم أنّ "الحرمه" عندما تريد أن تبول فـ "السايب" له "شخير" مثل "ورِّ" البقر، فسمع عبد طعمة هذه "النغمات" فظنّها لحبيبته، همس وقال: "أنا قاعد هون ليش قعدتي عندك"؟!. فهربتْ خوفاً وهي تبول. وفي الصباح سرتْ "دعاية" أن حاكورة الشيخ عبد فيها: جِنّ!.

(عسكري زبّال)

كان هناك شخص من بلدة بنت جبيل المجاورة يأتي إلى قرية كونين ويشتري زبل غنم وبقر ويأخذ ما يشتري محمّلاً على حمير، وبعد انقطاع استمرّ بضع سنوات رأته يوماً الحاجّة أمينة مهنّا حمّود "أم ناصيف" يرتدي بذلة عسكريّة ويتبختر بها، قالت له بالمزاح المعبِّر: "مْنِ الدابّهْ للدبّابهْ"؟ ـ من سائق دابّة إلى سائق دبّابة؟.

(العصا!)

"دايةُ" ـ مولَّدةُ و"حكيمةُ" ـ طبيبةُ كونين ـ بلدتي المستقرّة على رأس جبل ـ كانت الحاجّة خديجة عناني، وذاتها ـ رحمها الله ـ أشرفت مرّة على توليد زوجة إبنها علي قاسم عناني، وكان المولود للأسف ميّتاً. ولمّا عاينته، وأدركت أنّه "ذَكَر"، حملت العصا وهجمت على إبنها علي، لقد

اعتبرته المسؤول، فكيف ترك زوجته، وبطنها يصل إلى فمها، تعجن وتخبز؟.

(عتبة البيت)

المرحوم عبد الكريم بلّوط تزوّج من "تنْتين" ـ إثنتين، وكانتا تتقاتلان دائماً، طردهما معاً، وخرجت "الجديدة" إلى بيت أهلها، فيما القديمة جلست عند العتبة تبكي، واللّطيف أنّه أبقى على مَن استمسكتْ ببيتها، على ما قال هو شخصيّاً، وطلّقَ الضرّة.

(حرام عليك!)

وفي الأربعينيّات من القرن العشرين كان مختار كونين هو الشيخ عبد الحسن حمّود والد المرحومين: موسى وجواد، والمشيخة له اعتباريّة وذلك لِسِعة عقله واتّساع صدره، وكان "صاحب بيت" وكريم النفس جدّاً. وكان له صديق بيروتي متموّل من آل الكردي يرتدي "قمبازاً" ـ ثوباً طويلاً و"طربوشاً" أحمر اللون، استضافه الشيخ أكثر من مرّة، فأحبّ كونين وأحبّ أهلها، واشترى فيها "كذا" قطعة أرض. ومرّة جاء إلى كونين مصطحباً زوجته البيروتيّة، وعند المغادرة عائداً إلى بيروت بالبوسطة ـ الحافلة الكبيرة ـ وقفتْ له خديجة الحاج حسين طالب ومعها طفلها يبكي وصرخت في "مقلب" من مقالبها الغريبة: "لوين رايح؟، لمين تارك إبنك؟، حرام عليك"!. وأُصيبت الزوجة البيروتيّة بالذعر، وأقسم زوجُها الكريم أنّه متّهم مظلوم، وبالطبع من دون جدوى. وأخيراً باع الأراضي التي سبق واشتراها وانقطع عن كونين، و"هيداكْ يوم وْهيدا بَدَاله".

(شمس العروس)

تزوّجتْ حمدة خنافر "أمّ محمّد" التي هي أصلاً من بلدة عيناثا المجاورة لبلدتي كونين سنة 1955 من عمّي كامل علي محمّد أسعد أمين مسلماني، و"زفّوها" على فرس، وكانت العادة أن يجرّ ناطور البلدة فرسَ العروس، وكانوا يعطونه بدل عمله هذا "تيّاراً" هو "إشارب" ثمين كان ذاته يُلفّ به عنق الفرَس. وهناك "حوربة" ـ أغنية أنشدها في الزفّة حسين عبدالله "أبو فوزي" نادرة: "يا شمس دَلّي حبالِك \ وتأمّلي بحالِك \ بالجوّ ما عاد لِك سكونْ \ طلعتْ عروس قبالك".

ـ وكنتُ قد نشرت هذه الورقة على صفحتي في "التواصل الإجتماعي" ـ فايسبوك ـ وكان من التعليقات اللطيفة أيضاً تعليق "إبن العم" محسن مسلماني وهو كاتب من بلدة "الشعيثيّة" الجنوبيّة اللبنانيّة القريبة من مدينة صور: "وعنّا غنّوا في أحد الأعراس: يا شمس يلّي بالسما \ أنوارِك بتحيي النفوسْ \ لا تشرقِي فوقِ الحمى \ عالأرض في عنّا عروس".

(بين السمرا والبيضا)

اشتبكت إثنتان بالغناء إحداهما سمراء وثانيتهما بيضاء، وكلٌّ منهما تُظهر محاسنَها ومعايبَ الثانية. وأخيراً قرّرتا الذهاب إلى القاضي ليبتّ في أمرهما ويقضي للأجمل. ويبدو أنّ القاضي فاسد، فيقضي للبيضاء التي تشير إليه بيديها خفيةً أنّ حزمة كبيرة من المال بإنتظاره إذا قضى لها. وكان حسين عبدالله "أبو فوزي" رحمه الله، وهو رجلٌ "فاكهة" بتعبير كامل مسلماني "أبو محمّد" ورجلٌ "فاكهة" مثل كلّ آل طعمة في كونين بتعبير شاهر مسلماني "أبو شوقي"، يغنّي هذه الأغنية وهو بالجزمة الطويلة والخيزرانة، "وْعمْيرقص"، وكلّ من في العرس "كورس" له فَرَحاً وضحكاً وتصفيقاً: "بين السمرا والبيضا \ صاير خِلفه قويّه \ السمرا بتقول للبيضا \ لي عندك مشروعيّه". وتقول السمراء: "أنا

السمرا السمّوره \ بْناغي متل العصفوره \ يا بيضا يا مصفوره \ يا ليمونة المهريّه". وتقول البيضاء: "أنا ماني ليموني \ كلّ الشباب حبّوني \ يا سمرا يا مجنوني \ كبّاشك متل الجنيّه". وتقول السمراء: "متل الجنيّه كبّاشي \ بيخضع لي أمر الباشي \ عيونك متل الرشّاشي \ وْبينزّوا دايماً مَييّ". وتقول البيضاء: "متل الرشّاشه عيوني \ لكن حلوه ومزيوني \ قماشةْ وجّك مدهوني \ بزفت المركبجيّه". وتقول السمراء: بالزفت طاليتيني \ يا بيضا يا لعيني \ لونك متل الشنّيني \ وبْيمصل باللبنيّه". وتقول البيضاء: "اللبنيّه مأكول الناس \ ما هي زفت الأقرع راس \ يا لونِك أسود أغباس \ كأنّك مشحرجيّه". وتقول السمراء: "مشحرجيّه وغندوره \ ومن وجّي تهلّ بْدوره \ يا بيضا يا مصفوره \ يا حوّارة البريّه". وتقول البيضاء: "أنا ماني حوّاره \ وجّي عالقمر طاره \ البيضا ستّ القمارا \ والسمرا خزمتشيّه". إلى أن تقول السمراء والبيضاء معاً، وقد اتّفقتا أن تحتكما للقاضي: "إيدي وإيدِك عالقاضي \ تنكفّي المشروعيّه". وتقولان: "يا قاضي السلام عليك \ نحنا بأرواحنا بنفديك \ ما تحكيلناش هيك وهيك \ واشرح بالحق سْويّه". ويقول القاضي: "السلام بردّ عليكن \ ذبحتوني بعينيكن \ إحكوا أنا بين ديكن \ بْرايات المعنويّه". وعندما يعجز عن التميّيز أيّهما أجمل يقول: "والمعاني بْرایاتي \ اسمعوني يا بناتي \ السمره رجوة حياتي \ البيضا رجوة عينييّ". وتقولان: "ما بدّها رجوات عيون \ إحكي كلامك عالقانون \ مين اللي فازت بالكون \ ع الستّات المخبيّه"؟. فتشير له البيضاء، بيديها، من وراء ظهر السمراء، كما أشرنا، إنّ شيئاً محرزاً بإنتظاره، فيسارع ويقول ناطقاً بالحكم النهائي: "بحكي كلامي عن أكيد \ لا بنقّص فيه وْلا بْزيد \ البيضا بْتضوّي لبعيد \ متل الشمس المضويّه". فتغضب السمراء وتقول للقاضي المغشوش: "إمشي أقعد ع الحقّه \ ما بتفهم ولا نتفه \ تاكلّك هاك اللقّه \ بتطلع دورة أرضيّه". ويطلب القاضي من البيضاء أن

تفيه ما وعدته، فتستنكر أن تكون قد وعدته بشيء، وتقول إنّها كانت تشير بيديها لينتبه أنّ "قِرقه" كبير ـ خُصيتيه ـ فقط!.

(كاديلك سوداء)

حسين عبدالله "أبو فوزي" كان من أوائل الذين اقتنوا سيّارةً في كونين ـ خمسينات القرن العشرين وهي من نوع "كاديلك" سوداء "مِنْ هَل طوالْ، موتورها خربان، بْتمشي ع الدفش ـ الدفع، أشكمانها مخزوق، وبْتهدر". ولم يعدم من يغنّي له في ذلك العصر والأوان: "بُو فوزي جايب سيّاره \ بْتهدر متل الطيّاره \ بالطلعه شِدّوا يا ولاد \ وبالنّزله حطّوا حجاره".

(هُناكَ؟!)

في سنة 1969 كنّا، قال الشاويش "ابراهيم فوعاني"، أولاداً في المدرسة، وكانت في صفّنا "مريم الشيخ علي"، وكان حسن طعّان متزوّجاً من أختها سعاد وكان يسكن فوقهم مقابل المسجد، وكان عندنا في كتاب القراءة إستظهار عنوانه "هُناكَ"، وفي الصورة راعي غنم، وأوّل الغروب كان عدد من الشبّان واقفين تحت شجرة الزنزلخت بجانب القساطل السود بالقرب من بيت شبلي، ومن بينهم الأستاذ سامي ديراني والأستاذ علي عبد الكريم مسلماني، وجاء حسن طعّان، الذي لا يجيد القراءة والكتابة، منهمكاً كأنّه يحمل "البلاغ الدولي رقم واحد" ويقول: "بكْتابْ مريم بنت عمّي مكتوب: "هُووو وّي نـ اكا"!. وقصّ على الشباب كيف طلب من مريم أن تعيد ما تقرأ وكلّه عجب من هذا اللفظ "البذيء" في كتاب للأطفال!.

(فريد وأسمهان)

وفي سنة 1976 كانت محطّة البنزين، لصاحبها المرحوم درويش حسن درويش، عامِرة وكلّها حركة، وكان يعمل بالمحطّة كهربائي سيّارات يدعى ميلاد يأتي إليه عبّاس عطوي ويصرخ: "يا ميلييد"، ونحن "قاعدين نلعب ورق "14" والتلفزيون شغّال على فيلم عربي بطولة فريد الأطرش وشقيقته أسمهان، وبدأ فريد بصوته الرائع يغنّي ويضع يده على كتف أسمهان فحدّق عبّاس بالتلفزيون واضعاً يديه مقبوضتين في جيبي بنطاله جاهلاً أنّ أسمهان هي شقيقة فريد أصلاً وقال: "إسّا بيكون كـ سـ هـي بلَّش يْمزرِبْ مَزربِه"!.

(ذات الكحل)

مرّة ذهب محمّد شاهر مسلماني إلى المرحوم عبد الكريم محمّد مسلماني "أبو علي"، وهو شقيق جدّه، وكان مهجّراً من كونين، ويقطن في محلّة خندق الغميق ـ بيروت، إثر احتلال إسرائيل "للشريط" الحدودي اللبناني سنة 1978 وإثر تهجير جميع كونين، في ما بعد، تقريباً. وكان بين الإثنين، على رغم فارق السنّ الكبير جدّاً، مودّة ظاهرة وملاطفة ومزاح كأنّهما متجايلين، ولم يمكث محمّد قليلاً في منزل أبي علي زائراً حتى استأذن على غير عادة أنّه يريد الذهاب إلى "أبي إسحق"، سأله عن أبي إسحاق هذا، قال: "زلمي" ـ رجل "عنده صبايا للإيجار"!. ابتسم المرحوم، طيّب الله ثراه، بعدما فطن إلى مداعبات حفيد أخيه وقال: "والله ذكّرتني". وروى إنّ "محسن ذيب"، وذلك في الخمسينات من القرن الفائت، كان صديق أبيه المرحوم محمّد، المعروف كثيراً بشجاعته، وفي مرحلة من زمان هذه الصداقة كان محسن ذيب، وقد كان نحيلاً وقصير القامة، قد استأذن، وهما معاً، أنّه سيفارق إلى عمل ضروري، حتى إذا

سأله عنه قال "متشاوفاً" إنّه يعرف "واحدة" ولا أجمل، عيناها "مْكحّلينْ تكحيلْ"، أي هي من الحور العين، وإنّهما يلتقيان في "العريض" ـ غابة الضيعة. ويوماً قرّر المرحوم محمّد أن يعلم من تكون هذه "الواحدة" التي "يحرقصه" محسن ـ يثير غيرته ـ بها؟، وتبعه خلسة حتى رآه أخيراً عند صخرة في طرف العريض ـ غابة الضيعة ـ "وْنازلْ سَفِقْ ـ يفعل ـ بِحمارَهْ".

(ملح القعّ)

كان المرحوم عقيل سرور "أبو مسلم" نحيلاً وأقصر كثيراً من زوجته العبدة، وهي أصلاً من بلدة تبنين غير البعيدة بالسيّارة من كونين، وكانت ذات شخصيّة، ومن سطوتها تمسك بماليّة البيت القليلة وتصرفها بالتدبير في زمان كان يائساً أو بائساً إقتصاديّاً حقّاً. ويوماً، وفيما كان أبو مسلم يحرث أرضه علقت سكّةُ الفلاحة بشيء ليتبيّن أنّه حجر كبير من نوع "ملح القعّ" الذي يخلط في لونه بين الأبيض والأسمر وإذا لفحتْه الشمس يصدر بريقاً قولوا بريق الماس، وعند مدخل بيت الصديق علي فيّاض "أبو أحمد" حجران كبيران منه.

وطرأتْ لأبي مسلم خاطرة أو فكرة طالما تندّر بها أبناء كونين، وكلّ غايته أن يأكل لحماً مشويّاً افتقد طعمه من زمان وربّما من أزمنة. وهما في البيت ليلاً قال لزوجته بحركة مسرحيّة ذكيّة متلفّتاً يميناً وشمالاً إنّه عثر، وهو يفلح، على كنز. ولمّا اندهشت العبدة وكاد صوتها يرتفع وضع يده على فمها بسرعة حرصاً، فالبيت في وسط الضيعة والبيوت متلاصقة وكلُّ جار يكاد يحصي أنفاس جاره.

ومع الفجر نهض أبو مسلم عريساً، متحمّماً، يتمطّى، ثمّ رجع إلى البيت ومعه أمّ مسلم وعلى رأسها "سِدِر ألمينيوم" فيه حجر مغطّى بقماشة

تحجب عنه النظر. ودفناه في "صحن البيت" بعد أخْذ "مسطرة" ـ عيّنة، فيذهب أبو مسلم، بحسب الخطّة الموضوعة أو المرسومة من قبله شخصيّاً، إلى مدينة صوْر التي تبعد حوالي 40 كلم من قرية كونين بحثاً عن مشترين، واشتكى بدهاء أنّه للأسف ليس معه بدل أجرة سيّارة إلى صور، فأعطته بأريحيّة من القليل الذي تحفظه، ولكنّه عوض أن يذهب إلى صور ذهب إلى بلدة بنت جبيل المجاورة وقصد اللحّامين، واشترى لحماً، وطلب أن يُشوى اللّحم له، وتأخّر في السوق، ورجع إلى البيت، وقال لزوجته إنّه عثر على من سيشتري الكنز، وإنّهما يتفاوضان.

وفي اليوم التالي، وقد ذهب إلى بنت جبيل أيضاً، عِوض صور، وقد أخذ من زوجته بدل إيجار النقل كذلك، وقصد لحّام الأمس، ورآه أناس من كونين واستعجبوا حاله فهو غير مقتدر، ووصل خبره إلى أمّ مسلم، وانتظرته غاضبة، وعندما بلغَه أنّها علمتْ بأمره لم يرجع إلى البيت حتى توسّط له الأوادم ولكن، طبعاً، لم يتب.

(يا جحش)

خديجة الحاج حسين كانت حمارتها مربوطة بحبل في الجبّانة، وكان هناك جحش مربوط أيضاً ولكنّ حبله كان طويلاً وأطول من اللازم، رأى الحمارة واقترب، ثمّ حاول أن يقفز عليها، ولأنّه جحش اصطدم بالحبل ووقع، وحاول المرحوم رفيق عناني الذي كلّه نخوة، وقد كان في الجوار، أن يساعد الجحش وقد التفّ الحبل على قائمتين له، وكانت خديجة الحاج حسين تراقب الوضع من مدخل البيت، فخافت أن تحبل الحمارة إذا نهض الجحش ولا يعود بإمكانها أن تحمل عليها صناديق الدخان، فصرخت: "يا رفيقْ.. بلا ما تْديرْ الحماره للجحشْ درْ لهْ طيزك"!.

(النجدة)

وقال الشاويش ابراهيم فوعاني إنّه في شتاء سنة 1966 انهمرتِ الأمطار على نحو غزير، وطافت "الساقية" بجوار عين الماء المعروفة بإسم "العين الجديدة" وأوحلت الأراضي عند ضفّتيها وانقلبت إلى مصيدة للمزارعين العابرين الى "درب السلطانة". و"غرّزت" حمارة الحاج عبد فوعاني بالوحل فيما تمكّنتْ أبقارُه من العبور، فتوجّه الى المدرسة حيث كانت ببيت الحاج خليل عبدالله فوعاني، وكان صفُّنا في الطابق الأرضي، ومدرّسُنا هو الأستاذ علي عقيل مهنّا، واستغاث فأرسل إليه الأستاذ علي بضعة تلاميذ وهم الأقلّ درساً وحفظاً!.

(رفيعة سرور)

رواية عن الحاج خليل "أبو ابراهيم" عمرها من خمسينات القرن العشرين، قال ابراهيم فوعاني عن أبيه، حيث قبل زمان سألني أصدقاء، لماذا لا يرون الوالد يدبك في أعراس البلدة كباقي الرجال؟. وتحرّيتُ وتوصّلت أخيراً إلى ما يلي: كان عرس في بلدتنا كونين والدنيا ظلام ولم تكن كهرباء، وفي تلك الأيّام كانت الدبكة لها المجد وأغاني الدلعونا تهزّ أعطاف الجميع، وكان أهل العرس قد علّقوا "لوكس" ـ مصباح قوي الإضاءة ـ على حائط، فقامت رفيعة سرور، رحمها الله، ابنة نبيل سرور، وهي صاحبة ظرف، وجريئة جدّاً، وأمسكت بيد أبي ودبكتْ إلى جانبه ووضعتْ يدَها مِنْ بعدُ في جيبه وصارت تحرّكها حتى وقف "بتاع" أبو إبراهيم مثل "العاتول" (أداة للغرس ـ "وتد" طوله بين 60 إلى

80 سنتم). وعندما صار تحت ضوء اللوكس الذي غمره بالإنارة صرختْ رفيعة: "يا ناس شوفوا خليل"!. ومن يومها لم يعد يدبك بعدُ.

(له حصّة)

هناك أغنية غنّاها "زبديني" ـ رجل من بلدة زبدين ـ جنوب لبنان ـ في عرس من أعراس كونين، ويتذكّر كامل مسلماني "أبو محمّد" منها مقطعاً واحداً فقط: "دِير حْصانك عالفُصّهْ (ولم يعرف أبو محمّد ذاته ما "الفصّة"، فيما الصديق محمّد الخليف يقول إن الفصّة نبات تأكله الدواب) دير حصانك عالفصّهْ \ شَنَبْ هاذ (وكان المغنّي يشير إلى غسّان فيّاض ذي الشاربين الكبيرين) بطيزْ هاذ (مشيراً إلى محمّد مصطفى ذي الإلية الكبيرة) \ ورْفيقه هاذ (مشيراً أخيراً إلى ناصر مهنّا الذي فيه من الصفتين) له حصّهْ"!. ويومها غسّان فيّاض، رحمه الله "زِعِل و"الفرح عامر".

(مخاطباً الله)

هناك رواية عن الحاج مصطفى فوعاني تقول إنّه كان قد زرع قطعة أرض قمحاً، ونضج القمح ولكن للأسف لم يبلغ طوله شبراً، وبعد البيدر والمورج جعل القمح الصافي القليل في "خيشة" صغيرة ربطها وجعلها على حمارته إلى البركة الكبيرة التي عمرها ربّما من زمان ما قبل الرومان من أجل الغسل والصوصلة، وكان الحاج مصطفى طيّب القلب وإنّما عصبي جدّاً في آن، وكانت أيّام فقر وحاجة، وعندما اقترب من البركة خطر له أن يرفع يديه نحو السماء وهو يقول: "يا ربّ حلّها وافرجها علينا"!. وكانت الحمارة قد وضعت قائمتيها الأماميتين في الماء

كالعادة ولكن هذه المرّة لم يعجبها أن تشرب من أوّل البركة بل خاضت في الماء أمتاراً، وزيادة في الطين بلّة كأنّ أحداً حلّ ربطة الخيشة وهرَّ القمح في الماء. وانصدم الحاج مصطفى، ورفع يديه بعصبيّة نحو السماء مخاطباً الله وقال: "قلتلّك حلّها وافرجها ما قلتلّك حلّ الخيشهْ"!.

(عندما تتزوّج)

وقصّ ابراهيم فوعاني أنّه في سنة 1974 إنطلق هو وجمال إبن خاله مع جدّه لأمّه الحاج جواد حمّود الى ناحية "السهلة" لتربيط القمح، وأضاف: "وكما تعرف: نحن جيلنا لا يعرف إلاّ جهة اليمين أو اليسار إنّما الجيل القديم فيقول "شماليّه"، "غربيّه"، "قبليّه" ـ أي جهة القبلة ـ الجنوب، فقال جدّي وهو يختفي وراء "بندك" ـ حزمة قمح ضخمة ـ لإبن خالي الذي يقف في الجهة المقابلة أن يعطيه "الشريطة (خيط معدني) القبليّه"، فأعطاه ابن خالي "الشريطه الشماليّه" عن جهل. وعالجها جدّي ملتصقاً بالبندك، وبعد شدّة قويّة اندفع إلى الخلف ووقع بقوّة على ظهره وفاض غيظه واسودّ وجهه وقال لجمال: "ما بتعرف القبْليّه من الشماليّه؟، كيف بدّك تعرف بس تتزوّج "كـ ..س" مرتك مِنْ "ط يـ.. ز.. ها"؟!.

(سيّارة بيروت)

هناك أغنية ألّفها المرحوم محمّد حسن الدبق "أبو عاطف"، وعلى رغم أنّها كانت طويلة لم تبق منها سوى أبيات، نقلاً عن كامل علي مسلماني "أبو محمّد" الذي اجتهد ليتذكّرها. وبالمناسبة، ويا للغرابة، فإنّ أبا محمّد يجيد القراءة ولا يُحسن الكتابة!، ولا يزال يحفظ من قصّة الزير وأشعارها، وكذلك الكثير من شعر السيّد محمّد مصطفى وزين شعيب

وغيرهما من كبار منبر الزجل اللبناني، ويعزف على المجوز، وذلك وراثة عن أبيه المرحوم علي مسلماني "أبو حسين" الذي كان فنّاناً من طراز أوّل بالعزف على المجوز، وأحيا أعراساً لا تعدّ في قرى الجنوب ومنطقة بنت جبيل، وكانت أُجرة "الدقّيق" ـ أي العازف ـ قديماً، لا تتجاوز بضع ليرات، وربّما تنكة زيت: "قصدنا ننزلْ عَ بيروت \ لَقَيت الحلوهْ بْسيّاره \ قالتلي إشبَك ممْقوت \ ما معك ولا بارهْ". وهناك صدْر في بيت يقول: "في حرْمه أساسا عكروت"!. وسطر يقول: "مدّيت إيدي من الكبّوت \ وفتّشت بواب الحاره". لا يجوز أن تضيع مثل هذه الأغنية وأنا أشعر الآن بالألم.

(إعتراف)

قال ابراهيم خليل فوعاني: كان جدّي المرحوم أبو خليل، في فترة شبابه، يعمل "عتّالاً" ـ "حمّالاً" في سوق السمك ببيروت، وكانت جدّتي في الضيعة، وقرّر، ومعه محمّد جنيدي، أن يذهبا إلى "السوق العمومي" وحدّدا ساعة الصفر بعد المغرب عندما يحلّ الليل، حتى لا يراهما أحد من "المعارِف". وكان جدّي يلبس ثياباً بالية و"صبّاطاً" ـ حذاء ـ "بهدلة" ـ مؤسِفاً ولا "بنود" ـ رباط ـ له. ودخلا السوق، وبدأ الشجار بينهما، جدّي يريد أن يقصدا صاحبة "النصف ليرة"، أي إلى "الأقلّ" سنّاً، والحاج جنيدي يريد أن يقصد صاحبة "الربع ليرة"، أي "الأكثر" سنّاً، وكلّ واحد منهما "مْتنتر بضاعته" ـ ينشب قضيبه ـ أمامه. وبينما الشجار مستمرّ لم ينتبها أنّ وراءهما أحد الشرطة يحمل كرباجاً ويسمع كلّ شيء فقال: "بدلْ ما تدفعوا كلْ واحد نصف ليره أو ربع ليره للشراميط روحوا اشتروا ثياب وصبابيط"!، ورفع عليهما الكرباج، وتمكّنا من الهرب أخيراً. وكما تعلم كانت هناك عادة عند أجدادنا عندما يتحمّمون حيث تأتي الزوجة وتفرك ظهر زوجها وسط الإسطبل. ورأت جدّتي أثر

الكرباج فسألته عنه فقال إنه من أثر "العتالة" ـ العمل حمّالاً ـ والحبل!. ولكن بعد سنوات كثيرة اعترف بالواقعة وهو يضحك.

(بوز العجل)

وقال ابراهيم فوعاني: كنت جالساً مع جدّي لأمّي الحاج جواد وفجأةً وقع عراك بين الحاج محمّد "أبو رشيد" حيث كان "متمترساً" ـ متحصّناً في "الدور العالي" ـ الطابق العالي من بيته، وزوجته المتقدّمة مثله في السنّ ومتمترسة في "الدور" الأرضي و"نازلين ببعض مسبّاتْ"، وقال جدّي في اليوم التالي لبعض مجايليه إن أبا رشيد لا تزال "نفسه خضراء" فيما أمّ رشيد ليس لها بعدُ طاقة، خصوصاً أنّ "له بتاع.. اللهمّ عافينا، رأسُه ولا بوز العجل"!.

(السنغالي)

في سنة 1970 قرّر والدي ـ قال ابراهيم فوعاني ـ أن يشتري "صوبا" ـ جهاز تدفئة ـ تقينا شرّ الشتاء البارد، وهي صوبا تعمل على المازوت، وكان بيتنا القديم حيطانه من "باطون دكّ" وكلّ يوم عندما يعود والدي من العمل يحفر للصوبا قليلاً ويطيّر علينا الغبار حتى انعمتْ عيونُنا إلى أن جاء يومُ سوق الخميس في بلدة بنت جبيل المجاورة فحلق ذقنه وارتدى طقماً لونه زيتيّ وذهب واشترى صوبا وبعضَ الفاكهة واللحمة للكبّة، الأكلة المفضّلة، و"كيلو" نمّورة (حلويات محليّة مشهورة) ووضع جميع ما جلب جانباً، ولم يطوّل باله كي يشلح الطقم، وبدأ بالتركيب، وكان الخطأ أن وضع قسطل الـ "T" من الخارج، عكْس ما يجب أن يكون عليه، ونحن تجمّعنا حول الصوبا مستعجلين التدفئة والوالد يحاول

عبثاً إشعال الصوبا لأن مجرى الهواء صار بسبب الخطأ الفادح باتّجاه الداخل وينفخ بقوّة، والوالد يضع المزيد من المازوت وعيدان الكبريت التي كانت تفرقع وتنطفئ، الى أن قرّر إزاحة غطاء الصوبا بأكمله، ومدَّ رأسه الى داخل الصوبا، ولكنّ المفاجأة أنّها عملت له كميناً محكماً ففقعت بوجهه. وكان عندنا خزانة لها مرآة وما أن "شاف" ـ رأى وجهَه أسود مثل "عبيد (سود) السنغال" حتى هجم على الصوبا وانتزعها وفتح لها الباب قائلاً بعدما رماها: "الحقي جهنّم"، ولكنّ الوالدة استعادتها وطلبت المساعدة من هاني فوعاني، وكلّ ما فعله أنْ قلبَ قسطل الـ "T" وانفرجتْ.

(حلّ عنّي)

تزوّج المرحوم حسين عبدالله "أبو فوزي" عدّة مرّات، وفي أوّل مرّة كان يسكن مع أهله، فلا يأخذ راحته، فقرّر أن يعمل خيمة على السطح، ولسوء حظّه علمت المرحومة خديجة الحاج حسين طالب "أمّ العبد"، وهي صاحبة المقالب العجيبة، الغريبة، بالأمر، وكانت البيوت في كونين كما في أغلب قرى جبل عامل إلى ستينات القرن العشرين يلتصق بعضها ببعض، وعملتْ أمّ العبد حاجباً ـ متراساً ـ متقدّماً يطلّ على الخيمة وكان سلاحها "تلاليع" ـ كُرات تراب مخلوطة بالعشب. وحلّت العتمة وصعد العريس إلى الخيمة لكي يمارس "حقوقه الشرعيّة"، وكلّما حاول ظانّاً أنّه في راحة تفاجأ بتلّوعة "تخبطه"، وحيث تكرّر الأمر انقطع "الفيلم" وانتفض وصاح غاضباً بأعلى صوته ظانّاً أنّ الفاعل لا بدّ أن يكون رجلاً: "بدَّكْ تحلّ عنّي والّا بجي بْنِ يـ ..ك.. عرضَك"؟.

(قصّة الغزال)

تزوّج حسين عبدالله "أبو فوزي" من نهلة وبيتها الآن بين بيت علّوش وبيت محمود نعمة طعمة، وفي أوّل أسبوع من زواجه اصطاد أحد أبناء الضيعة غزالاً واشترى أبو فوزي منه لكي يتغذّى ويكون دفْع الثمن في ما بعد. وعند المغرب بدأ يشوي ويأكل هو ونهلة التي كانت تضع الحمرة والبودرة والكحل و"داحشه حالها بزوجها مبسوطه"، وخلال لحظات الانسجام إذ الباب يُطرق ـ انزعج حادساً وقال بصوت فيه نبرة: "مين"؟، فقال: "أنا فْلان بدّي حقّ اللّحمه"، فقال له أبو فوزي: "لمّا ناكلها منعطيك حقّها"، فقال وهو يتلصّص عبر شقّ صغير في الباب العتيق: "شايفك عم تعلك"!.

(يا ليتنا كنّا معكم)

وفي سنة 1974، ونقلاً عن ابراهيم محمّد علي حيدر، كان الشيخ حسن شحادي يؤذّن ويقيم الصلاة وفي كلّ ليلة جمعة يقرأ مجلس عزاء عن روح أبي عبدالله الحسين شهيد كربلاء ويقول: "يا ليتنا كنّا معكم سادتي فنفوز فوزاً عظيما" أي يا ليتنا كنّا مع الإمام الحسين سلام الله عليه وأهل بيته وأصحابه في موقعة كربلاء، واستقرّ في وعي عبد طعمة "أبو عبّاس" أنّنا لو كنّا مع الإمام في تلك الموقعة لكنّا قلبنا الموازين ونجا الإمام وفزنا فوزاً عظيماً، حتى أخيراً استنفر وقال مستوقفاً الشيخ خارج الجامع مستنكِراً وهو ينظر إلى حاله وحال أبناء الضيعة البائس إقتصاديّاً عموماً: "يا شيخ حسن بدّي إسألكْ سؤالْ عَمْ يغلي بمصاريني، شو كلّ مرّهْ بتقولْ "يا ليتنا كنّا معكم"! كانْ يعني ضرّطنا الكلبهْ"؟!.

(غضبان)

وضعَ حسن علي "أبو ابراهيم" تبناً في حلّة صغيرة للحمارة التي كانت عنده، وفيما كانت تأكل جفلتْ من أمرٍ ودارت حول ذاتها و"لبطت" ـ رفست الحلّة فطارت و"انتعف" ـ تبعثر التبن. وغضب رحمةُ الله عليه فجأةً غضباً وبدأ بضرب الحمارة، ما استدعى إبنه إبراهيم أن يذكّره بحرمة عمله، فغضب وترك الحمارة واستمرّ بإبنه!.

(حذاء القمر)

في سنة 1973 وكنت ملتحقاً بثانويّة بنت جبيل ـ عروس الجنوب، قال ابراهيم فوعاني، وعند الظهر، كنّا نأخذ فرصة ساعتين، من الثانية عشرة إلى الثانية ظهراً. ومرّة وكان يوم خميس حيث يُقام سوق الخميس الشعبي في بنت جبيل كنت أمرّ بمحلّ أحذيه بين سوق اللّحم وسوق الغلّة والبالة عند أسفل درج لا يزال قائماً، وكان داخل المحلّ الصديق أحمد غول بصحبة أبيه الذي كان قد وعده بحذاء جديد، ووفى بوعده، وكانا يعاند أحدهما الآخر أمام صاحب المحلّ الذي كان يزن فوق 120 كلغ، وله كرش ـ بطن كبير، وكان جدّي يمازحه فيضع يده على بطنه ويقول له: "شو؟ أيمتى بدّك تخلّف"؟. وكلّ أهل كونين يتعاملون مع صاحب المحلّ الطيّب هذا بالذات. وأصرّ أحمد غول على حذاء له "كعب عالِي"، وكانت الموضة هي الكعب العالي، وكان أبوه يحبّذ حذاء عاديّاً يحمله أمامه وينصح به إبنه باعتباره "متين" و"بِيضَاين" ـ يدوم، وما من فائدة حيث أصرّ أحمد وقال لأبيه بعناد: "أريد هذا الحذاء أو لا أريد شيئاً"، فغضب وأمسك بحذاء الكعب العالي ورفعه عالياً وقال: "لوين بدهن يرفعوا الزلمي ـ الإنسان ـ بعد، عالقمر"؟.

(أوراق)

أ ـ في سنة 1978 هرب أهل كونين خوفاً من إجرام الإسرائيليين الى القرى المجاورة، ومنهم حسن علي الذي لجأ الى قرية برعشيت، ولكن ليس قبل أن يربط الحمارة ويضع لها "شويّة" تبن بالمعلف ويضع "فلوسه" داخل مرطبان زجاجي ويدفنه أخيراً داخل المعلف تحت التبن. وغاب مقهوراً عن البلدة أيّاماً، وبعدها قرّر العودة مهما كان الثمن، وبينما هو سائر في الطريق الموحشة متسلّلاً بدأت الأفكار تراوده وعقله يحدّثه فيما إذا كانت الحمارة نافقة جوعاً وعطشاً فماذا سيفعل؟ وكيف سيسحبها بمفرده؟ وقال إنّ أحسن حلّ هو أن "يقطّشها" ـ يقطّعها، ولكنّه خاف أن ينفزر كرش الحمارة وينتشر في المكان!. ووصل إلى البيت فوجد أنّ الحمارة لا تزال على قيد الحياة بمعجزة حقيقيّة والمعلف لا أثر للتبن فيه، وكان مرطبان "الفلوس" ظاهراً تدحرجه الحمارة ذات اليمين وذات الشمال، وقال حسن علي: "حطّيتلّها غربال تبن مع جوزيّة شْعير وْنَدَفتْهُن، وحطّيتلّها غربال تبن تاني وعرّتُه ـ أكلته، وحطّيتلّها غربال أوصان وْبرْضو ـ أيضاً أكلتُه"!.

ب ـ وكانت إشاعة عن مقتل محمّد عبّاس برصاص الإسرائيليين في أرض بين كونين وعيناثا، وأرسل أهل عيناثا بشجاعة من ينقل الجثمان لكي يُدفن في جبّانة بلدتهم لتعذّر دفنه في كونين المهجورة. وفيما كانت جماعة متحلّقة وواحد يحفر سأل رجل غريب وقد دخل بينهم فجأة عن مَن يكون المرحوم؟ فأجاب الحفّار من الجورة أنّ المرحوم هو من كونين إسمه محمّد عبّاس!. وصاح الغريب ذاته متفاجئاً: "أنا محمّد عبّاس"!. وعرفوا أنّها إشاعة، وأخذوه بالأحضان، وهنّأوه بالسلامة، إلى أن سأل الحفّار مازحاً: "طيّبْ هلأْ لمينْ حفرنا هلْ قبرْ"؟، فقال محمّد عبّاس

مازحاً أيضاً: "إلكْ"!. وكان ذلك، فقد مات الحفّار ثاني يوم، ويا سبحان الله الدايم، ودفنوه في القبر ذاته!.

ج ـ وأيضاً كانت إشاعة غير صحيحة عن وفاة الحاج جواد حمّود الذي عمل له صهره "اسبوعاً" في بلدة البازوريّة!.

(عين إبل)

سُئل كامل مسلماني "أبو محمّد" وقد تقدّم في السنّ وهو صحيّاً متعب عمّا يعرف عن "حادثة" عين إبل التي وقعت في سنة 1920 وذهب ضحيّتها عشرات الأبرياء من أبناء البلدة المارونيّة المجاورة لبلدة كونين وقد كانت الحرب الأهليّة مستمرّة في لبنان وهي التي بدأت سنة 1975 فقال: "خَلّوها مخفيّه، هلّق بلادنا عَ كفّ عفريت.. والجِيره إلها حقّ"!.

(زراعة الصوف)

كنّا في سنة 1969 ـ قال ابراهيم فوعاني ـ في الصفّ الخامس إبتدائي، وكان يمسك الصفّ استاذ من بلدة "بنت جبيل" إسمه عبد الحسين جمعة، وما زلتُ أتردّد عليه نظراً لعشقي للتاريخ وللذكريات. وفي يومٍ غاب عن الصفّ وحلّ محلّه إبن كونين الأستاذ أحمد الدبق، وهو شاعر وخطيب "منبري"، وكان عندنا حصّة علوم والدرس كان عن الصّوف، وعندما انتهى الأستاذ أحمد من شرح الدرس سأل سؤالاً يريد منه امتحان التلامذة من دون شكّ وهو: "أين يُزرع الصوف"؟. رفع المرحوم محمّد عبدالله طعمة إصبعه قائلا: "في لبنان وفي سوريا"!، ورفع قاسم خليل

إصبعه وقال: "في الهند وفي الصين"!، ولمّا لم يعرف أحد أين يُزرع الصوف قال مبتسماً ابتسامته الجميلة: "يُزرع الصوف على ظهر الخروف"!.

(فلان الفلاني)

التحق محمّد قاسم في سنة 1976 بأنصار الجيش اللبناني، وخلال فترة التدريب قال المدرّب للعناصر: "بعدْ ساعهْ جايي الضابط فكلّ واحدْ منكم يهرول باتّجاهه ويقدّمْ له التحيّهْ ويقول: "النصير فلان الفلاني"!. ولسوء حظّ محمّد قاسم فقد جاء دوره أوّل واحد، فتقدّم نحو الضابط، وبدل أن يقول: "النصير محمّد قاسم" قال: "النصير فلان الفلاني"!.

(لا يسمع الكلام)

عودة إلى أيّام المدرسة حيث كان في صفّنا أربع بنات ـ قال ابراهيم فوعاني ـ وقال الأستاذ عبد الحسين جمعة إنّه قرأ في علم النفس ما مفاده أنّ الشاب عندما تكون فتاة جالسة بجانبه لا ينظر إليها نظرة سيّئة. ويبدو أنّ هناك غاية في نفسه فوضع بيني وبين المرحوم حسين شحادي بنتاً من بلدة الطيري المجاورة إسمها فاطمة وكانت تجلس بجانب عبد المحسن، ويبدو أنّه حاصل بينهما إنسجام تامّ، وعبد المحسن كان أكبر منّا ووصل الى سنّ الزواج قبل أن يصل إلى السرتفيكا (الخامس إبتدائي) ولم ترق لفاطمة عمليّة النقل فصارت تفكّر بالعودة إلى مكانها الأوّل. وقالت للأستاذ: "حطّيتني حدّ إبراهيم فوعاني بيضلّ لازق فيّي، فخذه حدّ فخذي وإجره على إجري، إعملْ معروف رجّعني لمطرحي"، ولكنّ الأستاذ لم يعمل.

(المرحوم حسين شحادي)

قال الأستاذ عبد الحسين جمعة حاثّاً التلامذة أنّه عندما ينتهي العام الدراسي عليهم أن يجلبوا خمس ليرات ويسجّلوا مباشرةً أنفسهم للعام المقبل، فقال حسين شحادي: "بلكي يا أستاذ الواحد مات"؟، فقال: "منرجّع الخمس ليرات لأهله". وفي العطلة الصيفية أتى أناس أرسلتهم الحكومة إلى كونين لرشّ مبيدات ـ سموم للحشرات، والتقوا الفتى الشجاع حسين الذي انطلق معهم مرشداً في زواريب الضيعة، ولوّث يديه ورجع إلى البيت وأكل من دون غسل يدين.. ومات.

ـ في ذلك العام من الستينات، ونتيجة التلوّث، توفي إثنان، أحدهما المرحوم حسين، وتمّ نقل أكثر من 35 طفلاً إلى "الحكيم داغر" في بنت جبيل بسبب التقيّؤ المستمرّ، وكنت أنا، جامع هذه الأوراق، واحداً منهم.

(لها وللأفندي)

مساء الخير يا صديقي شوقي، بالأمس كنتُ بالضيعة ـ كتب إليّ أبو خليل" ـ وقابلتُ صاحبك "أبو يوسف"، وهو من بلدة بيت ياحون، وهو يهديك السلام. ويومَ الجمعة كنت عند أسد طعمة وسألته عمّا في جعبته من أخبار عن سوق السمك الذي كان في وسط بيروت القديمة، فقال: كان عند حسين عبدالله "أبو فوزي" سمك عرموط "تعبان" وكان ينادي: "الكيلو بليرة وربع"!، فجاءت "حرمة" بيروتية وأخذت "2 كيلو"، وبعد ساعة رجعتْ وسمعتْ أبا فوزي وهو ينادي أنّ "كيلو العرموط بليرة" فسألتْه: "ليش عطيتني بليرة وربع وعم بتنادي بليره"؟، فقال: "وْربعْ وْربع وْربع وْربع"، وهنا قالت: "ريحتهم طالعه بدّي رجّعهن"، فقال: "عطيتِك أحسن سمك بلا حسك"!، فقالت: "إذا ما بترجّعهن بدّي روح

جبلك الشرطة". وصعدت الدرج حيث على يساره كانت عصافير تزقزق ووصلت إلى الطريق العام فوجدت رجلاً يرتدي لباساً يشبه لباس الشرطة فظنّت أنّها وقعت على المبتغى ولكنّه كان موظّف مواصلات يبيع بطاقات فقالت: "يا أفندي إعملْ معروفْ ساعدني، رجّعلي هالسمكات ريحتهن طالعه"، فنزل معها إلى السوق، وعلم أنّ أبا فوزي، صديقه الشخصي، هو المقصود، فوقف مكانه بعيداً قليلاً وقال: "ما فيني رُوْحْ إحكي معه"!، فجاءت إلى أبي فوزي" قائلة: "رُوْحْ كلِّم الأفندي"، ردّ عليها أبو فوزي وقد نظر وعرف صديقه: "بدِّك تْروحي من وجهي والاّ بْتاكليلِك شي كفّين إنتِ والأفندي تَبعِكْ"؟، فهربت.

(وداعاً)

حصل كامل مسلماني "أبو محمّد" على "فيزا" ـ تأشيرة سفر له ولأسرته الكبيرة سنة 1977 بمبادرة من صهره اللبناني الأسترالي عبد علي مهنّا للهجرة إلى أستراليا، فاستدان ستة آلاف ليرة لإستكمال ثمن بطاقات السفر، ثمّ وهو في آخر يوم من عمله في سوق السمك ببيروت تحلّق بعض أبناء كونين من آل رسلان وصالح ومصطفى وغيرهم، وبدأوا بالتصفيق والعزف على تنكة كإنّها طبلة، وكامل مسلماني ذاته يعزف ببراعة على آلة المجوز. وغنّى أبو أنيس عبد المنعم طعمة: "يا محروق قبر جدّك \ وين رايح وين؟ \ صهرك ركّب عَ قلبك \ 6 الآف دين". وقال كرّومة طعمة: "يا محروق أبو جدّك \ ما كان يهصّ (أي كان يتكلّم دائماً ولا يصمت) \ بيْبيع 12 علبه (علبة السمك وزنها أكثر من 20 كلغ) \ ما بيربح فصّ". وقال محمود عبد الله طعمة: "يا محروق قبر جدّك \ بتبحّ القلب \ بتْروح الله لا يردّك \ بالناقص كلب".

ـ وذاته عمّي "أبو محمّد" قصّ ذلك فرِحاً كطفل.

(سمك عرموط)

نزل اسماعيل سلامة من الضيعة ـ كونين إلى بيروت وقصد سوق السمك و"دووز" أي مباشرة "لعند أبو فوزي" وقال له: "بيعني شويّة سمك حتى بيعهن وإستفيد"، فأعطاه "غُبُّص" و"جربيدي" ولم يعطه من العرموط، وبسّط بالسمك في مكان غير بعيد، وصار أبو فوزي ينادي أن العرموط "بليره وربع" وعندما يأتي زبون يصرخ اسماعيل سلامة أنّ العرموط بليرة فيهرع إليه الزبون علماً أنّ اسماعيل ليس عنده من سمك العرموط ولكنّ المشكلة أنّ الزبون لا يرجع إلى أبي فوزي بسبب اسماعيل سلامة الذي يقول للزبون أيضاً إن "العرموط عند أبي فوزي بايت وطالعه ريحته وإذا أكلت منّه بتتسمّم"!، وقد تكرّرت هذه المسألة حتى جاء أبو فوزي إلى اسماعيل غاضباً وقال: "ليش عم تعمل معنا هيك؟ قلتْ بدَّك سمك اعطيناك وبالناقص وشو بدّك بعد"؟، فردّ اسماعيل سلامة: "أنا عملت هيك لأنّك ما كنتش تعطيني عرموط"!.

(لوِّز أبو حديد)

طلب زبون، وهو مدير فندق في مصيف عاليه الشهير ـ جبل لبنان ـ قبل الحرب الأهليّة اللبنانيّة، من وجيه فصاعي، سمكة لوِّز زنة 20 كلغ، لا تزيد ولا تنقص. وكان عند وجيه لوِّز مفرَّز، أي مبرَّد أو مثلّج، ولكن دون 20 كلغ بكثير، إلاّ واحدة، فإنّ وزنها بلغ 18 كلغ. اختلس من بسطة سمك مجاورة عيار 2 كلغ ودفعه في فم السمكة التي اشتراها الزبون الغافل. وقيل إنّ طبّاخ الفندق وبينما كان يشتغل على السمكة عثر على "العيار" وقال لمدير الفندق إنّ اللوِّز يأكل حديداً من البواخر الغارقة في البحار!.

(القريدس صنّارة)

جاء زبون إلى وجيه فصاعي ـ ووجيه صاحب خَيال وشاعر ـ وطلب منه 2 كيلغ سمك طعماً لصيد السمك. باعه وجيه 2 كلغ دبّوس، وهو سمك لا يُعتدّ به، وملاحظاً أنّ الزبون قِمّة في السذاجة سأله إذا يريد أن يشتري صنانير أيضاً؟. وباعه كلغ قريدس (والقريدس معكوف كما هو معروف) كإنّه صنّارة، وعن كيفيّة الصيد قال: "لا أبسطْ، بْتربط الدبّوس بْذيل القريدس وْقولْ مبروكْ.. علقت السمكه"!.

(المحترم)

كان رضا طعمة عنده بسطة سمك تظلّلها خيمة مبلّلة بسبب المطر السابق قفزت فوقها هرّة فسقط رذاذ ماء على زبون يرتدي طقماً أبيض اللون ويبدو رجلاً محترماً، وكان كامل مسلماني "أبو محمّد" يحمل "سطلاً" ـ دلو ماء ـ فصرخ وجيه فصاعي صاحب البديهة: "لَهْ لَهْ"!، ناظراً صوب أبي محمّد وموحياً أنّه أصاب الرجلَ بالرذاذ، وأسرع إلى "سطل" قريب فيه دمّ سمك، وحمله، وحمل فرشاة وغطّسها بالسطل وهجم على الرجل، من باب الحرص، وبدأ بتنظيف ظهره حتى اصطبغت البذلة بالأحمر القاني "والزلمي المسكين معمي ع قلبُه"!.

(عيون المشمش)

مرّة كان "أبو أنيس" وكامل مسلماني "أبو محمّد" وعلي سعيد سلامة ورابعهم الحاج أسعد عبدالله عناني، وجاءت إمرأة إلى بسطة السمك،

انحنت فيما تنظر في السمك المعروض، ولاحظ أبو أنيس خفيةً أنّ الحاج أسعد ينخفض بسرعة وينظر من تحت الطاولة. وبدأ أبو أنيس يغنّي "إرتجالي" ومعه أبو محمّد ومحمّد سعيد سلامة يردّدان: "يا امّ عيون المسودّه والمشمش فجّ \ "وقيل": ما زال اللّوزه خضره والمشمش فجّ) \ ديري وجّك لصوبي وطيزك للحجّ". ولم يعرف الحاج أسعد رحمة الله عليه "مْنينْ بدُّه يْتُوه"؟!.

(نسيب النوَر)

في سوق السمك، أوائل سبعينات بيروت القرن العشرين، اجتمع بعض بائعي السمك من أهالي كونين و"صاروا ينعتوا ويبهدلوا" بالذي زوجته "قطشهْ" أي لها "فرْدْ أذن" ـ أذن واحدة، فصار كريم ديراني "ينعت ويبهدل" معهم، فقال له أحدهم: "يا أهبل، ما الشباب قاصدينك، مش إنت المتزوّج النوريّه"؟. قال: "امبلا" ـ نعم!. فقال: "زوجتكْ النوريّهْ إلْها دَيْنِهْ وِحْدِهْ"!، فقال كريم: "بَسّ روح عَ البيتْ بفْحصْها"!. وفعلاً "طلعتْ" ـ وجدها ـ بأذن واحدة!. وكان كريم قبل أن يذهب إلى البيت يمرّ على سوق الدّجاج، "وَين في دجاجه فطسانه ياخذها ويذبحها ويحط "كتْشبْ".. ويحملها إلى عمّه النوري!. ويوماً، وهو يبحث عن الدجاج "الفطسان"، وقع نظره على دجاجة "فطسانه" كبيرة الحجم، فأخذها إلى عمّه، فما كان من الأخير، عندما وجدها بهذا الحجم، إلاّ أن عزم كبار النور من ربعه، وعندما أكلوا تسمّموا واستفرغوا جميعاً، لأنّ الدجاجة كانت قد ماتت مسمومة بقمح مسموم للجراذين!.

(عبد المنعم وأمّ أحمد)

في ستينات القرن الفائت كانت اللّيرة اللبنانيّة في عزّ عزّها، أي كان لها قيمة، وخسرَ عبد المنعم بلّوط "أبو جميل" في القمار 600 ليرة، أو كلّ ما يملك، فعاتبه المرحوم محمّد عبدالله عناني، فاحتجّ أنّه تعب من نقل المبلغ من جيب إلى آخر، وضحك ابراهيم قاسم "أبو أحمد" وقال لمحمّد عبدالله: "حطلُّه شعير". وفي اليوم التالي طلب عبد المنعم، ومعه زوجته، من أبي أحمد عملاً، فقال له أبو أحمد كلاماً ملغوماً: "دبّرنا لك شغله، تِجْلي عواميد"!، فقالت الزوجة لزوجها بطيبة وبراءة: "أنا بجْليهن، وبجْلي 30 عامود وْما بهْكلْ هَمّْ"!.

(الإستزادة من العِلم!)

كان المرحوم أبو فوزي مستأجراً غرفة في محلّة الملاّ الكائنة في منطقة عائشة بكّار ـ بيروت، كتب إليّ الشاويش ابراهيم فوعاني من بيروت، وكان المرحاض في الخارج سقفه زينكو و"الداير" خشب مهترىء. وفي ليلة مظلمة علم أحدهم أنّ أبا فوزي سيذهب للمرحاض فأسرع وعمل له كميناً حيث عمل فجوة في أسفل المرحاض قريبة من "الجوره" وبعد دقائق جاء أبو فوزي وفكّ حزام البنطلون، وما أن "قرفص" ـ جلس القرفصاء ـ وإذ بناصب الكمين يمدّ يده باتّجاه قفا أبي فوزي، وحينها "لبس" أبو فوزي بنطلونه وخرج بحالة غضب وهو يقول للآثم: "بدّك تقلّي مين إنت والاّ ب ن ي ك عرضك"؟. هذا وباقي التفاصيل عند زهيّة طعمة، وعندما "أطلع" قريباً إلى كونين سأقصدها وأستزيد!.

(أين أنت؟)

في سنة 1983 أشتغل ابراهيم فوعاني عند أحمد عبدالله فوعاني "أبو عبدالله" وبيته قريب من بيت المختار المرحوم الحاج عقيل مهنّا، وخلال جلسة الغداء حدّث أنّه كان والمرحوم قاسم اسماعيل ومحمّد يوسف اسماعيل، والد قاسم، يدفعون عربة ويبيعون السمك، و"برموا" منذ الصباح الباكر أحياء سكنيّة في بيروت وطرقات وزواريب حتّى اقترب الوقت من الحادية عشرة ظهراً ولم يبيعوا شيئاً. وفي هذه الاثناء ظهر الإحمرار على وجه محمّد يوسف وامتلأ غيظاً وصار ينفخ و"يدفش" العربة (يدفعها) بعصبيّة، وعندها سأل عن الساعة، وقالا له "الساعةْ كذا" جنّ جنونه، وأوقف العربة ورفع يديه ووجهه نحو السماء قائلا: "شو؟، نايم ولّا مطمِّس؟، وينك مش شايفنا؟ تلات زلم (ثلاثة رجال) من الصبح مش بايعين كيلو"!.

(الشيخ وأبو سامي)

حدّثنا أحمد عبدالله فوعاني "أبو عبدالله" قائلا إنّه اتّفق مع سليمان جنيدي "أبو سامي"، إعتباراً أنّه لديه سيّارة، أن يذهبا إلى منطقة كسروان لبيع السمك، وعندما صارا عند مشارف بلدة العاقورة قال أبو سامي إنّه منذ ثلاث سنوات كان يبيع السمك في هذه البلدة و"أَكلْها قتْله" ـ ضُرِب ـ وسأله أبو عبدالله: "ليش يا بو سامي"؟، قال إنّه عندما دخل أوّلَ البلدة نادى: "سمك"، فناداه مِن أوّل صوت شخص يشبه محمّد نزيه بالضخامة قائلاً: "اعطيني سمك"، وشاء أبو سامي أن ينطلق نحوه عبر الساحة ولكنّ زبوناً استوقفه وتبعه كثيرون واشتروا السمك كلّه ولم تبق معه سمكة واحدة، وبينما هو يرفع الميزان وإذ الرجل الضخم يتّجه نحوه وهو يفيض غضباً وقال: "قلتلّك تعا لعندي قلت جايي، شو عم تضحك عليي"؟. وتعاركا، و"أكلها أبو سامي قتله" خصوصاً وأنّهم تكاثروا عليه.

وأضاف أبو عبدالله إنّه وأبو سامي وصلا الى ساحة العاقورة و"صارت العالم تشتري" وإذ شيخ ضخم يسألهما: "قدّيش الكيلو"؟، قال له أبو سامي بمبادرة طيّبة: "بْليرتين"، فقال الشيخ: "وَيْنْ مكان بليره"!، قال أبو سامي صادقاً وبعفويّة من يحاكي إنساناً من أصحابه: "هالحكي مشْ صحيح"!. وقنبلة وانفجرت. هجم الشيخ عليه يريد أن يأكله فكيف ينعته بالكذب؟. وتدخّل أبو عبدالله بسرعة قائلاً للشيخ: "أهلاً يا شيخنا أنا المعلّم في عِنّا عدّة أنواع من السمك في بْليره وْفي بليرتين وْفي بتلات ليرات، شو بدّكْ أنا بخاطرَك". وبهذه الطريقة اللّبقة زال غضب الشيخ ونجا أبو سامي من "القتله" هذه المرّة!.

(المرحوم!)

المرحوم محمّد رشيد حمّود كان يبيع السمك في منطقة الجبل ـ جبل لبنان، والفصل شتاء، وفجأةً اشتدّ البرد وبدأ الثلج يتساقط، واختفت السيّارات، وكان المرحوم يحمل سلّتي سمك، فأين يذهب؟، فاختار منزلاً بالقرعة وطرق الباب، وإذ إمرأة درزيّة شجاعة تسكن وحدها، وشرح لها وسألها أن تأويه حتى ينجلي الأمر، وكان المرحوم محمّد رشيد متديّناً لا يفعل شيئاً يغضب الله فقالت له أن يدخل وأن يغتسل ففعل، وجلسا معاً والثلج ينهمر وقالت: "بْتشربْ عرقْ"؟. قال: "لأْ". قالت: "بتعرفْ تلعبْ ورقْ"؟. قال: "لأْ". فقالت له أخيراً: "قرد اللي يقرْدَكْ.. شُو بتعرفْ"؟.

(بائع سمك)

هناك رواية عن وجيه فصاعي حيث كانت لديه "بسطة سمك" في أحد الأسواق البيروتيّة الشعبيّة الشبيهة بسوق يوم الخميس في بلدة بنت جبيل

الجنوبيّة اللبنانيّة وإلى جانبه أخوه محمّد نزيه، واذ رجل كأنّه فضل فوعاني بالنحافة والبساطة والخجل، ساقه حظّه التعِس الى وجيه. وقف قبالة البسطة مقلّباً ناظريه بالسمك المعروض ويبدو مرتبكاً. قال له وجيه: "قلّي يا عم شو طلبك وأنا حاضر"، فقال الرجل موارباً: "بيقولوا القريدس بينشّط". وفهمَ وجيه أنّ الرجل يريد أن يبيّض وجهه مع شريكته، وبما أنّه باع كلّ القريدس حاول، كي لا يذهب الزبون مجّاناً، أن يبيعه سمك "جربيدي" مدّعياً أنّ الجربيدي يملك مواصفات القريدس ويعيده حتماً إلى أيّام الشباب، وحاول أن يبيعه "عرموط.. اللي بياكل منّه ما بيموت" وما من فائدة، لأنّ الرجل معه تعليمات، حينها قال وجيه وقد يئس: "لو ما جيتني متأخّرْ ربعْ ساعه! كان عندي إلكْ شي أحسنْ من القريدس"!، سأله عنه، قال: " قبل ربع ساعه كانْ عندي شبْ عمره 18 سنهْ بدّو يْبيع ز ب رُ ه"!.

(شفافيّة)

المرحوم أمين طعمة، عندما كان صغيراً، قصد عمّه المرحوم "أبو فوزي" في سوق السمك ـ بيروت ـ وسأله أن يعطيه "فرخين" سمك فيقليهما ويتغدّى، فاستمهله عمُّه معتذراً بوجود الزبائن وقال له أن يذهب وأن يرجع بعد هذا الأوان، فلم يقتنع وقرّر أن يختلس الفرخين، ومدّ يده خلسةً إلى فرش السمك، ورآه عمُّه ولم يشأ أن يشتلق الزبائن، قال كإنّما يكلّم السمكات، وهو متأكّد أن ابن أخيه سيعلم أنّه المقصود وقد انكشف: "إمْشِ وِشْتْ"!. ويُقال "وِشْتْ" للكلب إذا نهروه بعيداً!.

(أبو شوارب)

المرحوم حسين علي طعمة "أبو أسد" قصد بلدة "المعلّقة" وهي من بلدات منطقة زحلة بالبوسطة حاملاً السمك في سلّتين مدوّرتين كبيرتين، وفي كلّ سلّة أكثر من 15 كلغ، وبدأت صيحاته: "طازه، طازه يا سمكْ"، فاستوقفتْه سيّدة كلّها هيبة وسألتْه عن السمك الذي بحوزته، فوضع السلتين على الأرض وقال: "اختاري اللي يناسبك"، فوقع نظرها على نوع وسألته: "شو إسم هيدا السمك اللي إلو شوارب"؟، قال: "إسمه قريدس، بس أغلى من الباقيين"، قالت: "ليش"؟، قال: "بينشّط، وبس ياكل الرجّال منّه بيصير قوي"، فأعجبها الحديث وقالت: "اعْطيني 2 كيلو"، فأعطاها، ودلّها على طريقة قليه بزيت الزيتون، ومع الثوم والحامض، ففعلت، وقدّمت الوجبة لزوجها بعدما وضعت الحمرة والبودرة وهي مسرورة، ولكن حصل ما لم يكن بالحسبان، فعندما انتهى الزوج من تناول القريدس أتاه النعاس ونام "لغاية الصبح" ـ إلى الصباح ـ ولكنّ الزوجة لم يأتها النوم. وبعد أسبوع عاد أبو أسد إلى المكان ذاته، وعلمت السيّدة ذاتها بمجيئه فأحضرتْ له عصا ونزلت إليه وقالت: "غشّيتني بالقريدس"، فصار يحلف أنّ القريدس طازة، فقالت: "وعدتني بْشي وطلع معي شي تاني، بس أكل زوجي نِعِس وْنام"!، فقال: "أنا يا ست عْملت اللي عليّي، شو بعملّك إذا زوجك قليل مروّهْ"؟!.

(الشيخ علي)

ورواية يزيد عمرها على سبعين عاماً، كان الشيخ علي ياسين هو مؤذّن كونين، ويؤذّن "يدويّاً" حيث لم تكن كهرباء وميكروفونات إلى أواخر الستّينات من القرن العشرين. كان الشيخ يصعد الدرج إلى مئذنة الجامع ويقوم بتأدية الآذان، وكما تعرف فالحال في ذلك الوقت، ولكلّ الناس سواسية تقريباً، كان بائساً، أي الجميع في مستوى واحد، إلاّ الشيخ علي

فقد كان الأكثر فقراً لأنّه كان كفيفاً وزوجته مثله كفيفة وقد رزقهما الله خمس بنات "مفتّحات" إنّما لم يرزقهما صبيّاً. وللإستعانة على الحياة افتتح الشيخ علي دكّاناً صغيراً جدّاً ولا مصدر رزق له ولأسرته غيره. وحدث أن اتّفق بعض الشباب "الشلمسطيّه" على سرقة الدكّان، ورسموا الخطّة، ولعبوا بعقل عبد الحسين طعمة الذي كان أصغرهم سنّاً، واستطاعوا إقناعه بدهاء، وبسّطوا له الأمر باعتبار أن الشيخ يثق به، وقالوا له بوجوب الذهاب للدكّان وشراء أي شيء، وأن يتحيّن الفرصة ويتّجه إلى باب الدكّان ذي "الدرفتين": الأولى متحرّكة والثانية ثابتة، ومهمّته فقط أن يخفض قفل "الدرفة" الثابتة من الداخل ففعل. وعند منتصف الليل جاء دور "فوج المغاوير" الذين "دفشوا" ـ دفعوا الباب ـ وفتحوه بسهولة، ونهبوا المحتويات القليلة عن بكرة أبيها. وعندما طلع الصباح لم تسكت شهرزاد وخاضت في الكلام المباح، وانكشف المستور وضجّت الضيعة لهذا العمل الأرعن، ومن جهتهم فإنّ أفراد العصابة أظهروا أنّهم أشدّ الناس إستنكاراً لما جرى أو حصل، وكان قائد العمليّة هو مصطفى، يصيح غضباً وأسفاً، ويصول ويجول، ويتقدّم ويتأخّر، ويصفّق، بعدما يرفع كفّيه نحو السماء ويقول: "يا ويلكم من الله يا أهل كونين"!. وكان عبد الحسين طعمة واقفاً مع الناس يراقب مندهشاً ولا يصدّق غرابة أفراد العصابة. وندم على فعلته أشدّ الندم ولكن ظلّ الأمر سرّاً حتى تقدّم في السنّ وقرّر أن يذهب الى مكّة حاجّاً بيت الله الحرام، وذهب إلى إمام البلدة السيّد محمد باقر إبراهيم وروى له تفاصيل التفاصيل، وخمّن السيّد قيمة المسروقات مع احتساب فارق الزمن، فالأسعار تتغيّر، ودفع عبد الحسين المبلغ الذي تمّ توزيعه على الأكثر عوزاً في كونين عن روح المرحوم الشيخ علي ياسين.

(الضبع الخائب)

عبد الحسين طعمة "أبو منير"، وقد بلغ سنّ الرشد بدأ يحبّ ويعشق، وكان يحضر عرساً بمفرده في بلدة برعشيت المجاورة، وانسجم حتى تجاوزت الساعة العاشرة ليلاً، وقرّر أن يعود الى كونين سيراً على الأقدام، ولم تكن سيّارات في ذلك الزمان، وحاول أصحاب العرس ثنيه وإقناعه أن يبقى ويبيت عندهم لأنّه إذا كان وحيداً قد تعترضه الضباع، فلم يكترث. وبينما هو يسير في الطريق وإذ ضبع، لسوء الحظّ، تعترضه، ومن حسن الحظّ في آن كانت شجرة قريبة، وتسلّقها بأسرع من لمح البصر، وبقيت الضبع تنتظر تحت الشجرة علّ وعسى تزلّ قدمه ويقع، ولكنّ عبد الحسين لفّ ذراعيه حول أحد الأفنان و"تجربَد" ـ استمسك بقوّة ـ وأمضى الليل الطويل هكذا: مفتّح العينين، حابس الأنفاس، مشدود الأعصاب، مرعوباً ومتعَبَاً. أخيراً بدأ بزوغ الفجر وبدأ رحيل "العتم"، وتنفّس عبد الحسين الصعداء. ولشعورٍ بالثقة والأمان تدبّر وبال على الضبع. وبدأ الفلاّحون يتهافتون إلى الحقول، وخافت الضبع، وهربت خائبة، ونزل عبد الحسين وهنّأ نفسه بالسلامة.

(المطربة صباح)

كانت المرحومة الحاجّة "أمّ حسين" سرحان مسلماني وذلك في ستينات القرن العشرين تحلب "العنزات والغنمات" في الإسطبل ـ و"عيّطلها" ـ ناداها ـ زوجها المرحوم أبو حسين علي مسلماني من البيت قائلاً: "عجلي اطلعي يا إمّ حسين، صَبِيحْ (المطربة اللبنانيّة المشهورة صباح) عمبتغنّي"، فقالت، وانتظاراً، ولكي لا يفوتها شيء من غناء "الصبّوحة": " هيّاني جايي، أطفي الراديو وانْطرني ـ انتظرني"!.

(كونين الجنوب)

كانت لقية تصدح بها حناجر أبناء كونين في الخمسينات من القرن العشرين إذا تفاخروا، وهي واحدة من محفوظات الحاجّة عطوفة عقيل مهنّا "أمّ محمّد" زوجة الحاج عبد اللطيف محمود مهنّا: "إحسانها بسكّانها \ وعنوانها عَنّا ينوب \ كونين ضمْن كْيانها \ فازت على كلّ الجنوب"!.

(ثورة الجرّة)

في أوائل العقد الثاني من القرن العشرين كان آل الزين يشكّلون عصب كونين، وكان بعضهم للأسف، في آخر أيّامهم، من المتسلّطين، ولم تكن في ذاك الزمان مياه شفة، وكانت "العين التحتا" هي المصدر الوحيد المتوفّر لمياه الشرب، وهذه العين لها تاريخ، وجعل آل الزين ناطوراً على هذه العين في صيف جفاف. وحدث أن أرسل حسين شبلي، جدُّ المرحوم شبلي، ابنتَه إلى العين لكي تملأ الجرّة ماءً، فرجعت خائبة، ولكي يرضى الناطور ولا يعود إلى فعلته هذه طلب حسين شبلي من ابنته أن تعود إلى العين وقد حملت سلّة تين وعنب هديّة، فأخذها الناطور وسمح لها بجرّة ماء للشرب، ولمّا امتلأت كسرها عامداً متعمّداً، فرجعت وأطلعت والدها على ما كان، فاهتاجت الضيعة من هذا الإستكبار، وذهب وفد، وبجرأة، إلى بلدة تبنين، مشياً وراكبين الدواب، حيث مكان الحاكم التركي، وعرضوا عليه مظلمتهم والألم والشرر في أعينهم، ويبدو أن هذا الحاكم كان عاقلاً، أو لغاية في نفسه، فقد استقبل مظلمتهم أيّما استقبال وأرسل عسكراً إلى كونين أجلوا منها آل الزين أجمعين، مع تهديد وهو إذا رجع واحد منهم يوماً إلى كونين في حياته فإنّ الحاكم سيمحيهم من الوجود ويمحي معهم حتى حرف ألـ "زين" في القرآن، فخافوا خوفاً شديداً، ولم يعد حقّاً أحد منهم إلى كونين سوى المرحوم حسين وأخوه المرحوم صادق حيث اختبآ في بلدة برعشيت المجاورة ورجعا إلى كونين، عند أوّل فرصة شوقاً وحنيناً وقد "غطّى" ـ تستّر ـ

عليهما أبناء البلدة لأنّهما كانا "كويسين" ـ لطيفين ـ محترمين ـ بعد أن غيّرا كنية الزين إلى أيّوب، ومن سلالتهما في أيّامنا أحمد الحاج حسين طالب "أيّوب" وشقيقته خديجة حسين طالب "أيّوب"، و"طالب" هو إسم الجدّ.

(الزيّات المحبوب)

وقبل سنة 1967 كان يأتي إلى كونين بائعو زيت من بلدة بنت جبيل يحملون الزيت في "جالونات" ـ حاويات حديد ـ على البغال، وكانت لديهم أوعية من تنك يطلقون على الصغيرة منها تسمية وهي "يقّة" وعلى الأكبر "يقّتين" وهكذا، وهي أوزان قديمة. وخلال حرب "67"، وكانت الظروف صعبة أيضاً، رفض "الزيّاتون" بيع عوائل محتاجة أو فقيرة بالدَّين باعتبار أن "الدنيا حرب" ولا أحد في الحرب يبيع دَيناً أو قرضاً سوى "أبو نمر الحوراني" فقد غامر ووافق، وكسب ثقةَ وحبَّ أهل كونين الذين لم يتعاملوا من بعدُ مع أحد غيره.

(له في خلقه شؤون)

توفي الحاج قاسم مسلماني "أبو محسن" سنة 1971، وكما في العادة تذهب النساء في اليوم الثاني إلى المقبرة لتبخير القبر. وكان محمّد قاسم مسلماني، وهو أحد أبناء المرحوم، يساعد معلّم الباطون في صبّ القبر، وإذْ قافلةُ نساء تأتي وتبدأ الحاجّة سعدى "أمّ محسن" تبكي زوجها وتنوح، فجاء إبنها محمّد الذي يكره البكاء والنواح وقال لها هكذا: "إسّى عَمْ تبْكي على بيّي لإنّه ماتْ والّلا لإنّه ما عادْ في حَدا يفكّلِك الدِّكّهْ"؟.

(مغسل المحطّة)

توفي المرحوم اسماعيل سلامة وقام بتغسيله الحاج أحمد حسن علي ذيب "أبو علي"، الشهير بالنخوة والعتابا والصوت الرخيم، وعندما انتهى من "التغسيل" جاء جميل، وهو إبن المرحوم، لكي يساعد في "تلبيس الكفن". ونظر الى جثمان والده واستنكر. وقال لأبي علي: "هالشغل مانو مزبوط، مش مْنظّفُه، ملطلْطه لطْلطه، والله لو أخذتُه ع محطّة درويش - محطّة المرحوم درويش درويش، وهي للتزوّد بالوقود، وفيها أيضاً خدمة ميكانيك، تصليح كهرباء وتغسيل سيّارات - وغسّلتُه فيها: كانْ أشرفْ".

(نداء)

ازدحمت كونين - زمانَ الحرب الأهليّة اللبنانيّة - وتحديداً عام 1976، بأهلها - مقيمين ومهجَّرين، وتحديداً المهجّرين من أطراف العاصمة بيروت مثل الكرنتينا والنبعة وتلّ الزعتر. وذهب بعض الشباب الى "العريض" - غابة الضيعة. وعندما غادروا العريض تركوا ناراً، وفي هذه الاثناء مرّ صبية من آل عسيلي وعجمي وسرحان وبشر وطيبة ورأوا النار فأسرعوا الى الضيعة و"دبّوا" الصوت، وسمعَ أحمد حسن علي ذيب "أبو علي" المعروف بالإندفاع وركض الى المسجد وبدأ يقول من خلال الميكروفون منفعلاً: "يا أهالي كونين، يوجد حريق كبير بالعريض، هلمّوا يا شباب، ويلّلي عندو مجرفه يحملها ويلّلى عندو رفش أو منكوش يحمله"!. ولكنّ النار كانت قد خمدت "لوحدها" - من ذاتها - قبل وصول النجدة.

(حيّة وهميّة)

كان المرحوم الحاج محمد قاسم فوعاني مريضاً فقرّر أصدقاء له، وذلك ستينات القرن الفائت، أن يعودوه في "السهرة" وهذا ما كان. وشاءت خديجة الحاج حسين طالب الشهيرة بالمقالب أن "تلعب" معهم، وهم في طريق العودة إلى بيوتهم، إحدى ألعابها الشهيرة حيث أحضرت عقالاً قديماً أسود اللّون وجعلته على الأرض ملتوياً على شكل يشبه الحيّة وذلك تحت شجرة "بطن" ـ بطم ـ كبيرة، صاحبها هو عبد الهادي بلّوط، والمرور تحت هذه الشجرة إجباري، ويا للأسف فإنّ هناك من قطع هذه الشجرة العتيقة زمن الاحتلال الإسرائيلي للشريط الحدودي اللبناني مع فلسطين المحتلّة، والمهم أنّ "الإخوان" رجعوا وكانوا يتحدّثون مع بعضهم البعض في الليل بصوت مرتفع قليلاً وربّما خوفاً من قوم الجنّ الذين لا يحبّون الضوضاء لا من قريب ولا من بعيد، وما أن اقتربوا حتى بدأت خديجة الحاج حسين، ومن مكانها حيث تختبئ، عمليّة جذب الحبل المربوط بالعقال رويداً رويداً، وعندما وقعت أنظارهم على الحيّة الوهميّة التي تتحرّك تصارخوا: "حيّه حيه". وبدأوا بمراشقتها بالحجارة، وخديجة الحاج حسين تستمرّ بجذب الحبل حتى شاهدوها تمسك بالطرف الآخر وهي تقف على مهل وتنظر بإستعلاء غريب إليهم!.

(آب اللهّاب)

كان عبد المعين عناني وأخوه محمّد حسن "أبو حسن" في بيروت، ينزلان في محلّة زقاق البلاط ـ حيّ قمّوريّة ـ عند علي مسلماني "أبو حسين". وفي يوم من أيّام آب (أغسطس) اللهّاب (وذلك لاشتداد الحرّ في هذا الشهر من السنة) قرّر عبد المعين أن "يفسّح" أخاه، أو يأخذه نزهة، وعرض عليه مصيف عاليه أو صوفر في الجبل ـ جبل لبنان حيث الجوّ البارد، وكان لعبد المعين "موتورسيكل" ضخم ـ درّاجة ناريّة أشبه بـ "موتورسيكلات" العسكر زمانَ هتلر. وهما في منطقة الجبل حيث غابة

حرجيّة صادفا كوعاً خطراً لإنعطافه الحادّ، وقال عبد المعين لأخيه الذي كان خلفه إنّ هذه الناحية من المنطقة يكثر فيها اللّصوص والمعتدون على الناس. وقبل أن يكمل حديثه فاجأه "مطبّ"، ونشبت الدرّاجة الناريّة عالياً، وطار أبو حسن وحطّ على الطريق واقفاً، بمعجزة، على رجليه، ما بعدها، كما قال، معجزة، وصفّر لأخيه (دعاه بالصفير) لكي يقف له، من دون أدنى فائدة. وظنّه عبد المعين لا يزال خلفه. قال له: "شفتْ يا خيّي، هوذي اللصوص شافونا وعم يصفّروا"!. وبعد بضع كيلومترات تقريباً، وعبد المعين يتحدّث ولا حسيس أو أنيس ممّن يُفترض أنّه خلفه التفت وإذ به وحده. ورأى رجلاً في الجوار وسأله: "شفتلّي خيّي"؟. قال له الرجل وقد فهم أن يعود أدراجه فقد يجد أخاه في الطريق. وكان أبو حسن في إنتظاره حقّاً.

(عرب الحمدون)

قرّرتْ خديجة الحاج حسين طالب صاحبة المقالب وهي في زيارة مسائيّة إلى أمّها أن تعمل مقلباً بزوجها أبي العبد، واتّفقت مع شخصين وهما شقيقها أحمد الحاج حسين وعبد المعين عناني. وعندما شارفت الساعة العاشرة ليلاً، تقريباً، دقّت ساعة الصفر. وتلثّم أحمد الحاج حسين وطرق الباب وغيّر لهجته وقال: "نحن عرب الحمدون نريد خبزاً". فأعطاه أبو العبد نصف اللّكن (وعاء معدني يُحفظ فيه الخبز). ثمّ وضع أبو العبد أذنه على الباب وسمع صوت زوجته خديجة الحاج حسين تقول لعبد المعين: "أدخل إنت وقل له الخبزات ما بيكفّو بدنا (نريد) بعد". واستعدّ أبو العبد، حيث أحضر قضيباً معتبَراً. وقُرِع الباب مجدّداً، وكان عبد المعين ملثّماً، وتكلّم وقد غيّر لهجته أيضاً، وتلقّى الجواب الذي لن ينساه ما عاش يوماً، حيث انهال عليه أبو العبد بالضرب المبرح. وفشلتِ الخطّةُ فشلاً ذريعاً.

(الجِنّ الأبيض)

تزوجت خديجة الحاج حسين "أمّ العبد" من حسن علي فوعاني المعروف بأبي ذيب، وأنجبا طفلة أسمياها بهيجة. ثمّ لم يطل الأمر حتى "دبّ" ـ وقع ـ خلاف بينهما سببه زوجها الذي لا يطيق العمل. ووقع "أبغض الحلال" وتزوّج أبو ذيب، من بعد، من قطف طعمة، وتزوّجت خديجة من رجل يُقال له "أبو العبد البرعشيدي أو البرعشيتي" وهو من بلدة "برعشيت" أو "برعشيد" المجاورة لبلدة كونين. ورزقهما الله ولداً أسمياه عبد الحسين. ولا حاجة لمزيد من تفصيلات لا ضرورة جوهريّة لها إنّما كبرت طفلة الزواج الأوّل بهيجة وصارت صبيّة وحلوة وتعيش مع أمّها. و"حط عينه عليها" ـ وقع في غرامها ـ كريم ديراني الذي لم تستلطفه أمّ العبد لأسباب خاصّة بها، وربّما عن نظر في الرجال. كان كريم يسهر يوميّاً في وسط كونين حيث يتجمّع البعض من أبناء الضيعة للمسامرة، ثمّ يرجع متأخّراً إلى بيت أهله الكائن مقابل الحسينية سالكاً لذلك طريق الجبّانة الموحش لا طريق البركة المؤنس ولو أبعد مارّاً ببيت أمّ العبد وابنتها اليافعة بهيجة، وكانت أمّ العبد تراه، فقرّرت أخيراً أن "تقطع رجله" ـ أي تمنعه من سلوك هذه الطريق إلى بيته ـ فلا يقترب من حيث ابنتها، فأعدّت له مقلباً من المقالب التي طالما استنجدت بها في زمان شبابها الأوّل. وهكذا استعانت بأحد جيرانها وهو محمد حسن عناني "أبو حسن" قائلة: "يا بو حسن "بدّي" ـ أريد ـ منّك خدمه"، قال على الفور: "حاضرْ إنتِ بْتأمري". وكان كريم ديراني وهو يسير ليلاً يحمل "فناراً" ـ كشّافاً ـ ينير له الطريق وينقّله بلا انقطاع من اليمين إلى الشمال ومن الشمال إلى اليمين حتى بات معروفاً من مشيته أو حركته هذه. وفي ليلة حالكة قرّرت أم العبد تنفيذ خطّتها فأحضرت لأبي حسن "دشداشة" ـ عباءة بيضاء ـ و"حطة" (غطاء للرأس) لونها أبيض ولثاماً باللّون ذاته

وزوّدته بعدد من "أمشاط الصبّير" وطلبت منه أن يختبئ خلف "الصبرات" ـ أشجار الصبيّر الكثير الأشواك ـ إلى حين أطلّ المغروم أخيراً سارحاً وعلى عادته بحركة الفنار في يده يميناً وشمالاً، وما أن بلغ الصبرات حتى أطلّ عليه فجأة أبو حسن وكلّه أبيض بأبيض، وزمجرَ، وضربه بمشط أصابه في بطنه، و"يا جريّي عينوني". طار كريم ديراني بعد أن طار الفنار من يده فزعاً ورعباً شديدين ورجع وسلك إلى بيت أهله طريق البركة، ولم يعد يسلك طريق الجبّانة ولو "فرّموه" ـ قطّعوه ـ ولمّا سئل قال: "جِن" أبيض عند شجر الصبّير كانْ لاطيلي ولاقى عليي" ـ مختبئاً ويتقصّدني.

(معلاق ضبع)

رواية وقعت أحداثها سنة 1973 ومن أبطالها محمود بزّي والحاج رياض طعمة، قال الشاويش ابراهيم فوعاني، حيث اصطاد محمّد شبلي، إبن حسين موسى شبلي: ضبعاً، فقاما إلى تقطيع الضبع وأحضرا "المعلاق" إلى نزيه مسلماني "أبو عدنان" قائلين له إنّ هذا المعلاق هو من بطن غزال هديّة منهما إليه، فانبسط أو انشرح أو فرح وشكرهما وطلب من زوجته زينب "العيناثيّة" ـ من بلدة عيناثا المجاورة لبلدة كونين من جهتها الجنوبيّة ـ وهي شهيرة بعياقتها وسرعة مبادراتها الكريمة ـ أن تطهو المعلاق ليأكلوه حالاً مع بعضهم البعض، فتحجّجا انّهما يلتزمان موعداً ضروريّاً وخرجا بسرعة. وعلم أحد أبناء كونين من آل الصغير بتدبير محمود ورياض، ومن فوره قصد بيت نزيه ورآه يأكل فسأله عن طعامه فقال أبو عدنان وبكلّ ثقة وافتخار إنّه يأكل معلاق غزال ودعاه لتناول الطعام معه، فقال له إنّه يأكل معلاق ضبع، وما أن سمع ذلك حتى انقذف الطعام من فمه ولم يذهب الى مخفر بنت جبيل

القريب ليشتكي عليهما بتهمة التسميم والقتل المتعمّد بل قصد مخفر بلدة تبنين البعيدة نسبيّاً، فالمسؤول فيه ضابط شهير أنّه "مجنون" ومثل "قراقوش" يأمر بالحبس فوراً. والتفاصيل هي عند الحاج رياض طعمة، وعندما سألتقيه حيث الآن أنا في بيروت سأعلم منه كامل القصّة.

(ثعلب ودجاجة)

اتّفق طعمة طعمة ومحمد علي مسلماني، برواية ابراهيم فوعاني، وذلك في سنة 1976، وتحديداً بعد سقوط منطقة "النبعة" ـ بيروت ـ وتهجير أهلها، وبعضهم كان من كونين فعاد إليها، وغصّت البلدة بمهجّرين من مناطق كثيرة بسبب من الحرب الأهليّة المجرمة والتي "تنذكر ما تنعاد" أن يعملا "مقهى" هو عبارة عن "كوخ" على تلّ البركة الكبيرة يقدّمان للزبائن مشروبات وترمس بالإضافة الى لعب الورق، وبعد فترة وجيزة نشب خلاف بين الشريكين أدّى إلى انفصال الشراكة، وبادر محمّد علي إلى ابتناء كوخ خاصّ به في الطرف المقابل، يقدّم من خلاله فولاً مسلوقاً وبليلة ومكسّرات وما شابه، واغتاظ طعمة من نجاح شريكه السابق فأوعز إلى شباب منهم محمد قاسم فوعاني، شفاه الله، وشفيق فوعاني: أن يرفعوا كوخ محمّد علي على الكراسي الموجودة داخل الكوخ ذاته، وعندما انتصف الليل قصدوا الكوخ ورفعوه كما أُمِروا، عن غواية ولهو، وارتجل أحد شباب الضيعة في اليوم التالي، والدبكة عامرة، دلعونيات تدور حول الموضوع ومنها: "عمل بُو سامي مع طعمه شركهْ \ واتّفقوا تيبنوا قهوه عالبركه \ ومن أوّل ليلهْ عركت العرْكِه \ ثعلب ودْجاجةْ ما بيتّفقونا".

1 (أمّ قاسم)

المرحومة الحاجّة أمّ قاسم بلّوط مهنّا لم تغادر كونين يوماً، فقالت لها اختها الحاجّة ليلى وكانت تعيش في بيروت زمان الشباب مع زوجها المرحوم بديع مهنّا: "يـ إختي إنتِ عايشه بالضيعه مْن الحقلي ع البيت ومْنِ البيت ع الحقله، بدّي آخذك على بيروت تْشوفي الدنيا". وأخذتها، وإلى ساحة البرج صحبتها، وكان أحد المحلاّت يعرض قطعَة قماش على تمثال (مونيكان) نسائي، وأستغربتْ أمّ قاسم من نعومة القطعة، وقالت للمونيكان: "عجَبتْني يا روحي هـ القماشه بقدّيش الدراع"؟. قالت لها ليلى: "يا إختي إنتِ عم تحكي مع تمثال"!. قالت: "إنتِ عم تضحكي عليّي، شوفي إيديها وإجريها وعينيها وكلّ شِي"!. قالت ليلى: "يا إختي خلّينا نمشي". ووصلتا الى تمثال رياض الصلح الذي نظرتْ إليه أم قاسم وسألت: "ليش هالزلمي حاطط قعقور وواقف عليه"؟.

2 (خيار ليف)

ولا أعرف كيف سمع أحد الأصدقاء، وسريعاً، بما أبلغتكم عن المرحومة أم قاسم بلّوط مهنّا وحديثها مع المونيكان وسؤالها عن تمثال رياض الصلح "ليش هالزلمي حاطط قعقور وواقف عليه"؟ وكلام شقيقتها المرحومة ليلى، وبوجهه، وأخبر الحاجّة أم مصطفى مهنّا مسلماني إبنة أم قاسم، فضحكت ثمّ استنكرت، قال إبراهيم فوعاني، وقالت، كما بلغني، إنّ أمّها كلّها فطْنة، بل خالتها الحاجّة ليلى، رحمها الله، هي التي كانت بسيطة، والدليل أنّ الحاجّة ليلى رأت "خيمة ليف مْشنشله باللّيف الأخضر الطويل، وتعمشقتها وقالت: "خَيْ، ما أحلى هل خْيَارات"!.

(الحاجّة أمينة)

وهنا بعض ممّا يتردّد على لسان الحاجّة أمينة مهنّا حمّود "أم ناصيف"، زوجة المرحوم موسى الشيخ حمّود، من كلام نادر وجميل: "رزْقَ الله يا زمان المَرّ والفات" ـ "الطير المربّى غالي" ـ "عِيشة الذبّانه ولا عِيشة الجبّانة" ـ "معك مصاري بتشتري سْفيحه، ما معك بتتنشّق عالريحه".

(أنوار زبل البقر)

عندما لم تكن كهرباء كان أهل كونين إلى أواخر الستينات من القرن العشرين إذا تنقّلوا ليلاً يضعون نقاط "كاز" على "لطّوع" زبل بقر ويشعلونه ويرفعونه على عصا ينير أمامهم الطريق!.

(عصاية الخرّا)

كان أبناء كونين يلعبون لعبة يسمّونها "عَصَاية الخرّا"، فاللاعب منهم يحمل عصا غير طويلة يدفع بها بحْصةً أو حجراً صغيراً باتّجاه حفرة في الأرض، فإذا نزل الحجر في الحفرة يقول اللاعب منتصراً: "يا عصاية الخرّا اطلعي لبرّه"، وأغلب ظنّي أن تعبير "عصاية الخرّا" يعني عصا الذي لا يجيد اللّعب، وأن تعبير "اطلعي لَبَرّه" يعني إعلان خسارة اللاّعب الخصم.

(الدبّ الأعمى)

تقع القرعة بعد "العديّة": "قال لي ربّي عدِّ العشَرَهْ" على من تقع من اللاّعبين فتُعصب عيناه ويسعى وهو هكذا للإمساك بأحد اللاعبين الذين يدورون حوله ويتقدّمون منه ويبتعدون عنه، وتنتقل العَصْبة إلى الممسوك، واسم هذه اللعبة: "الدبّ الأعمى".

(حمارة الطويلةْ)

يقف شخصٌ منحنياً على هيئة الركوع ويقفز فوقه اللاّعب، ويقف شخصان بالوضعيّة السابقة ذاتها، ثمّ ثلاثة.. إلى آخره بخطّ مستقيم ويقفز فوقهم اللاعب، وكلّ من لا يجتاز إمتحان القفز يخسر، وإسم هذه اللعبة هو: "حمارة الطويلةْ".

(رسائل)

1 ـ "السلام عليك والسلام على جميع أهل بلدتنا كونين في سيدني. للتوّ وصلتُ الى بيروت ـ كتب إليّ "أبو خليل" ـ كانت سهرة بالأمس عند ابراهيم حيدر، وكان كثيرون، وشاهدتُ شقيقك عضو المجلس التشريعي في سيدني السناتور شوكت، وكان في زيارتين رسميتين إلى اليونان وقبرص، وشاء أن يعرِّج إلى لبنان، وحثّنا على ضرورة توفير الصور الفوتوغرافيّة التي سبق وطلبتَها لكي تكون في الكتاب الذي سمعتُ أنّه سيكون لطيفاً، وحيث لأوّل مرّة سيصدر كتاب يحكي حياة كونين العامليّة وهذا شيء طيّب وعساه يكون فاتحة فيلتفت كتّابنا إلى "تاريخ" بلداتنا الجنوبيّة اللبنانيّة والعربيّة عموماً. واتّفقنا في السهرة، وبحماس منقطع النظير، أن نسعى في اليوم التالي لأخذ كلّ صورة قديمة من أهالي بلدتنا، وخصوصاً تلك التي تعكس الحياة الفلاّحيّة، وهناك الكثير من هذه

الصور عند رفعت طعمة وحيدر شبلي وأبو قاسم عناني وأنت تختار وتحتفظ بالباقي لمناسبة ثانية، لكنّهم في اليوم التالي أخلفوا الموعد وذهبوا جميعاً إلى البحر.."!.

2 ـ ".. كانت أيّام كونين في القرن العشرين كلّها مرارة وفقر، مثل أيّام الكثير من قرى جنوب لبنان وشماله للأسف، وكان الناس سواسية إقتصاديّاً، أي في مستوى واحد، حيث كان الفلاّح مقصّراً ماديّاً دائما: يطبخ، يغسل ويخبز على الحطب، ومرّات قليلة جدّاً يستعين بـ "بابور كاز" قبل عصر الغاز ويعمل في الحقول تحت أشعّة الشمس المحرِقة ويدرس "الغلال" ـ القمح، الشعير، الباقية، الكرسنّة، وسوى ذلك، على البيدر بواسطة "المورج" ـ مدرج لدراسة البيدر ـ الذي تجرّه بقرة أو حمار أو حصان أو بغل، وكان معلّمي الأوّل على قيادة "المورج" أو "النورج" هو عبد الحسن حمّود باعتبار أنّ جدّي لأمّي هو عمّه وكنت "آخذ عن جدّي" ـ أحلّ مكانه ـ و"أقف" على المورج في ساعة الصلاة أو "الغدى" ـ الغداء. وكان الفلاّح إذا طلب منه أحد أبنائه شراء بنطلون أو حذاء يقول له: إنتظرْ حتى "نسلّم الدخّانات" ـ والتسليم، أو البيع، يكون لشركة الريجي الإحتكاريّة التي احتكرت التبغ والتنباك في لبنان قاطبة، وعارضها يوماً البطريرك أنطوان عريضة، وقال فيه محمّد علي الحوماني شعراً، والحوماني من بلدة حاروف ـ قضاء النبطيّة: "أحبَّ الله يوماً صار فيه \ يحبّ المسلمون البطريركا \ على "بكركي" سلام الله منّي \ ولو حُسِب السلام عليّ شرْكا" ـ أو يقول: "حتى نْبيع شي مِد غَلِي" ـ "مِد: وعاء مثل الطنجرة، يُستخدم للكيل و"غَلِي" ـ قمح مسلوق. وهناك البعض من أبناء كونين اليوم يترحّم على الماضي باعتباره كان أحلى، وربّما هذا صحيح لجهة طيبة الناس وعفويتهم لكنّي شخصيّاً، ومن الناحية الإقتصاديه تحديداً، ألعن تلك الأيّام وذلك الماضي الذي طالما أذلّنا وأهاننا وأذاقنا مرّ العيش".

3 ـ " ... كان عبد الحسن حمّود الذي ترك المدرسة مبكّراً بمثابة العمود الفقري لوالده المرحوم الحاج موسى "أبو ناصيف" وذراعه اليمنى، يدرس على المورج، وكان يضع سنابل القمح على البيدر، بشكل دائري، قطر الدائرة أقصاه عشرة أمتار، وكان يضع كمّامة حديديّة على فم البقرة خشية أن تأكل السنابلَ، والذي كان يلفت نظري أن البقرة كانت تقف وتكفّ عن الدوران إذا أرادت أن "تشطّط" كأنّها تفهم أنّه لا يجوز أن "تعملها" على "الطرحة" ـ دائرة السنابل، وكان عبد الحسن يفهمها ومجهّزاً لها تنكة "نيدو" ـ إسم شركة حليب مجفّف ـ فارغة، ويضع التنكة، فـ "تشطّط" البقرة. كان عبد الحسن خبيراً بإستخدام المذراية ـ المذراة ـ وهي المصنوعة من الخشب ولها أصابع خشبيّة طوال ويتراوح عددها بين خمسة وسبعة، وبإستخدام "الشاعوب" ذي الأصابع المصنوعة من الحديد، وهو شبيه المذراة، ولكن عدد أصابعه أقلّ، وغالباً ثلاثة، حيث عندما ينتهي من الدراسة "يذري" ـ ينثر ـ في الهواء ما درسه فينفصل "الحَبّ" ـ القمح مثلاً ـ الذي يسقط في مكانه عن التبن الذي يبتعد قليلا، أمّا الشاعوب فهو للأعمال الخشنة مثل جمع السنابل المتناثرة على الأرض. أنا مشتاق لكم يا أهلي الكرام في سيدني وخصوصاً لك وللصديقين أبداً علي حمّود وأحمد غول..".

الشاويش ابراهيم فوعاني "أبو خليل".

(أخيراً وليس آخراً)

ـ **"تياب الحاكورة":** سألتُ صديقي ابراهيم فوعاني الذي له الفضل الأوّل في ما جمعته من أخبار حياة كونين القديمة عن أحد أقاربي وهو من سيدني ويزور لبنان منذ أسابيع، فأرسل إليّ على صفحة التواصل

الإجتماعي يقول: "كلْ ما أُطلعْ من بيروت عَ الضيعهْ بْيطلعْ بِخلقْتي وْلابسْ ثْيابْ كإنّه جايي من الحاكورهْ مش كإنّه جايي من أوستراليا"!.

ـ "حادث سير": سألتُه عن أحد أقاربي أيضاً، وهو يعيش في بيروت، فأرسل إليّ يقول: "شاهدتُه مرّة واحدة في بيت مغترب أسترالي، كان "يشكي وينعي" أنّ أحد أبنائه "عمل" حادث سير وأنّ الحادث "يكلّف كذا" ولا يملك منه قرشاً واحداً!.

ـ "سفر برلك": وأرسلَ إليّ مرّة يقول: "سأجتمع غداً بالحاج قاسم فوعاني، أطال الله عمرَه، وسأرسل إليك تقريراً عن أيّام سفر برلك"!.

ـ "جانا الهوى": وكتب يقول: "كان عندنا في الصفّ الإبتدائي "حصّة" غناء، ساعة واحدة بالأسبوع، فأحضر لنا الأستاذ سمير بزّي اسطوانة لعبد الحليم حافظ "جانا الهوى". وانطرب الجميع، وإلى الآن تلاحقني هذه الأغنية، وهي لا تزال المفضّلة لديّ"!.

ـ "زوجته أمّ خليل": وكتبَ أيضاً: "كتبتُ لكَ قصصاً قصيرة، بعضها يعود إلى سنة 1955، ولأسباب تقنيّة لم تصلك، سأعيد إرسالها إليك، وليس سرّاً إذا قلتُ لك إنّي عندما أفتح الإنترنت والفايسبوك "تتعفرتْ" أمُّ خليل وتبقى أسبوعين مبتعدة عنّي!.

ـ "إبنه خليل": وأخيراً أرسل إلي يقول: "عذراً يا أبا شاهر، فإبني خليل يريد اللاّب توب، الآن: سلام"!.

ـ إنتهى.

___ ** ___

بركة كونين - 2006

Shawkimoselmani1957@gmail.com

- 2013 -